المربد

من زمن التتوهيج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1635) السنة السابعة
الخميس (22) تشرين الاول 2009

علي جواد الطاهر: الانسان النموذج

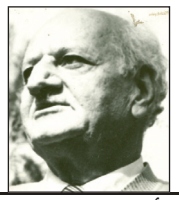

2

ما أحوجنا إلى منحى الطاهر في الكتابة!

10

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

علي جواد الطاهر: الانسان النموذج

مهدي عيسى الصقر

اذا اردت ان تكتب عن الطاهر فمن اي المداخل تأتي اليه، هذا الرجل الذي اضاء العديد من المشاعل، على درب الادب العراقي المعاصر، على مدى سنوات طويلة؟! ماذا بوسعك ان تقول في انسان متعدد الاهتمامات، غزير العلم والانتاج، الاحاطة باعماله كلها تستلزم بحوثا ودراسات..

اذن فهذه الكلمة القصيرة لايمكن ان تكون اكثر من اشارة، من واحد من تلامذته، واصدقائه، العديدين، دافعها الحب، والاجلال، وشعور عميق بالاسى لرحيله.

قصة الطاهر مع القصة.

في عام ١٩٥٧، وكنت ما ازال اعيش في مدينة البصرة، اتابع محاولاتي، في كتابة القصة، جاء الطاهر زائرا، وانتهز الفرصة واتصل بعدد من الادباء البصريين، الا انني لم اسعد بلقائه انذاك، قيل لي، فيما بعد، انه سأل عني، فشعرت بالفخر، فليس يسيرا ان يسأل عنك ناقد كبير، مثل الطاهر، وانت ما تزال تبحث عن طريقك، بعد ذلك سمعت انه ادخل نماذج، من اقاصيصنا، نحن الكتاب الشباب في الخمسينيات في مناهج التدريس لطلبة الادب في الجامعة، وكان يعرف طلبته بهذه الاقاصيص ويشجعهم على تحليلها، ونقدها، فكان اول استاذ، في العراق، يعرف طلبته بالقصة العراقية الحديثة، وبنصوص من الادب الحديث، بعد ان كانت دروس الادب، في المدارس والجامعات تعتمد في الغالب النصوص القديمة.

تعرفت على الطاهر، بصفة شخصية، في اواخر الستينيات، عندما جئت اقيم في بغداد، وازدادت معرفتي به، فيما بعد، ناقدا وانسانا كبير القلب، وجدته يهتم اهتماما فريدا بالقصة وكتابها، قرأ، مرة، قصة بعنوان (الايام المضيئة) لشاكر جابر، كاتب لم يكن احد قد سمع باسمه، من قبل. استهوته القصة، امسك بالقلم، وكتب رسالة الى المؤلف، عبر فيها عن اعجابه، وقال له، فيما قال، قرأت القصة، وانا لا اعرف من هو شاكر جابر، ولا يهمني كثيرا ان اعرفه، لولا هذه القراءة (.....) قرأت فاعجبت، ثم طويت الصفحة الاخيرة وخرجت الى اتحاد الادباء، اتدري لماذا؟ لقد خرجت ابحث عن اصدقاء طيبين، ابشرهم بميلاد القصاص الجديد، وادعوهم الى قراءة القصة الجديدة، خرجت لاني شعرت بالحاجة الى ان افيض بتلك السعادة التي عمتني على الناس، نادرا جدا الذين يبدون كل هذا الاهتمام بكاتب مجهول، سواء في العراق، او في غير العراق، من الاقطار العربية مدفوعا بهذا الحب للابداع العراقي الخالص يستقبل الطاهر رواية (النخلة والجيران) لغائب طعمة فرمان، بفرح، ويتحدث عنها بحماس، ويناشد فرمان ان يكتب مثلها، واحسن منها.

كان الطاهر متفائلا بمستقبل القصة، في العراق، ويرى انها تستحق ان تأخذ المكانة الجديرة بها عربيا، وعالميا ربما، في يوم من الايام، يؤكد رأيه هذا في نقده لمجموعة (غرف نصف مضاءة) للقاص والروائي المرحوم موسى كريدي، ان ثقتي بالقصة العراقية كبيرة، وما فقدت الامل يوما، حتى في احلك الظروف، في تقدمها، وكان يغار كثيرا على سمعة القصة العراقية، ويتألم، ويغضب، اذا لاحظ اهمالا، او استصغارا لها، في ما يقرأه من دراسات للكتاب العرب، الذين يتناولون القصة العربية، او الادب العربي.

كتب الطاهر، عن القصة العراقية، في كتبه النقدية، ومقالاته اكثر مما كتب عن اي جنس ادبي آخر، وارخ لها منذ خطواتها الاولى، على طريق التحديث، افرد كتابا لمحمود احمد السيد، اعد، وقدم كتابا آخر عنه، بالاشتراك مع الدكتور عبدالاله احمد، وكتب عن عبدالحق فاضل، وذي النون ايوب، وجعفر الخليلي، وعن النهضة الفنية في القصة القصيرة، في الخمسينيات وتابع مراحل تطورها، بعد ذلك جيلا بعد جيل، واخذ بيد العديد من كتابها، ورعاهم، وقاد خطاهم، حتى اصبحت لها اسماء تذكر، وظل بعد ذلك يتابع ما يكتبون بالحب نفسه، وبرغم محاولات البعض الانتقاص من قيمة نقده، بحجة انه نقد انطباعي، وليس نقدا يلتزم بطروحات المناهج الحديثة، في النقد، فان اي قاص عراقي كان يتمنى ان يكتب الطاهر كلمة عن اعماله، اذ ان مثل هذه الكلمة – اذا كان راضيا عن المستوى الفني للعمل، وما يتضمنه من دلالات- كانت المفتاح للقاص الناشئ للدخول بثقة، الى دنيا القصة، والسند للقاص المتمرس لتعزيز مكانته الادبية.

الطاهر الانسان..

كان الطاهر شديد التواضع، برغم سعة علمه، وكبر مقامه وذيوع اسمه او بالاحرى كان متواضعا لهذه الاسباب، فاذا زرته استقبلك عند باب بيته، ومشى معك، بعد ذلك، الى الباب مودعا، وكان يعامل الكبير والصغير – سنا او مقاما- بالنبرة الودودة نفسها، وفي غياب ابنه الاصغر، اربد، عن الدار، كان الطاهر يقوم على خدمة زواره بنفسه، يحمل لهم الشاي، او العصير، في الصيف، وهو يبتسم خشية ان يشعروا بالحرج، كان لايطبق الادعاء والغرور، وتظاهر البعض بامتلاك ما لا يمتلكون من مواهب وكان يتعالى على المهاترات، في الصحف واذا هوجم لشخصه لايرد الاساءة، الاّ انه كان يدافع بصلابة، وبموضوعية تامة، عما يراه من مواقف، تجاه القضايا الادبية المثارة..

في مواجهة النهاية..

حين اتضحت طبيعة المرض الذي يعانيه الطاهر رجني النبأ، بقيت مصدوما، وحائرا، هل ازوره في بيته؟! واذا زرته ماذا اقول له؟! كيف تخفف عن انسان مصاب بمرض قاتل، يعرف هو جيدا نهايته المحتومة؟ اتصلت بالصديق حاتم الصكر، اسأله عن الدكتور ابي رائد، وان كان زاره، ام لا، حدثته عن حيرتي، قال انه مر بالحالة نفسها، غير انه حين ذهب لزيارته فوجئ به يستقبله ببساطة، متقبلا ما حل به بتجرد صوفي، خفف هذا الكلام من ترددي، فذهبنا- المرحوم موسى كريدي، وانا معه- وجدناه، كما قال عنه الصكر بالحيوية نفسها، استقبلنا كما اعتاد ان يستقبلنا قبل ان يدهمه المرض، بكلماته الودودة، ونفسيته المتفتحة للحياة دائما، لم يتغير في سلوكه شيء، فخفف ذلك عنا كثيرا، نحن الذين ذهبنا للتخفيف عنه، قال انه عاش من السنين ما يكفي، وغير موضوع الحديث، بسرعة وهو يبتسم، راح، بعد ذلك، يسألنا عما يجري في الساحة الادبية، اكتشفنا انه كان يتابع، ويتواصل مع الاصدقاء، والمعارف، من الادباء، وانه لم يكن بعيدا عما يكتب، وينشر عندما اردنا الانصراف حرصا على راحته، قال ضاحكا،، انتم صدقتم؟! لاتأخذوا المسألة بهذه الجدية، فانا بخير، جلسنا معه دقائق اخرى، استجابة لرغبته، وقد شجعني موقفه الصلب، من المرض، وروحه العالية، على تكرار الزيارة، بدون الشعور بالحرج، مرة برفقة الصديق ماجد السامرائي، ومرة برفقة محمود عبدالوهاب، ومرة اخرى مع الشاعر حسين الحسيني، وكان الطاهر، في كل مرة، يتحدث معنا بانطلاق، وعفوية، في شؤون الادب، والادباء، ويستفسر عن احوال الاصدقاء، متحاشيا التطرق بكلمة واحدة، الى ما يعانيه من اوجاع، وعندما تقدم به المرض اتصلت به، تلفونيا، اسأله عن احواله العامة، قال (اني ارتب اشيائي) قال عبارته، في حياد، بدون شعور بالمرارة والاسى كأنه يتحدث عن سفرة يعتزم القيام بها، ولم ينقطع الطاهرعن ممارسة نشاطه الادبي، خلال فترة مرضه اذ ظل يقرأ ما نشر من اقاصيص، وروايات ويكتب نقدا عنه، ويستجيب لطلبات الصحف، والمجلات، بأن تجري حوارات معه (وفي الاشهر الاولى، من المرض، ماكان يتردد في قبول الدعوات التي توجه اليه للاشتراك في ندوات ادبية، بكلمات يعدها، ويلقيها بنفسه).. واستمر الطاهر في نشاطه، حتى اعجزه المرض، وماعاد بوسعه ان يمسك القلم بثبات.

زيارتي الاخيرة للطاهر كانت زيارة عائلية، ارادني ان استرجع منه موسوعة، باللغة الفرنسية، كان استعارها من الروائي فؤاد التكرلي، قال ماعاد ثمة من جدوى لبقائها عنده، وبرغم ما فعله به المرض تحامل على نفسه، وخرج الينا، من غرفة نومه، جاء يمشي، بخطى واهنة، يتكئ على عصا.

تأملت جسده، الذي هدّه المرض، فعرفت ان النهاية المحتومة ماعادت بعيدة، واوجعني قلبي، جلس الطاهر معنا يسند رأسه الى كفيه القابضتين على رأس العصا، عيناه تومضان باللهفة لمعرفة اخبار الادب، والاصدقاء من الادباء، كان به شوق للتواصل، حتى آخر أيامه، مع الحياة التي نذر لها عمره، لكننا لم نشأ ارهاقه بالكلام، فلم نمكث طويلا، اخذنا الموسوعة، واستأذنا منه، ومن السيدة الفاضلة زوجته، وغادرنا وكان ذلك آخر لقاء.

اذن فقد رحل الطاهر عنا، غير انه لم يرحل، كما يرحل اي فانٍ آخر، بل ترك لنا، وراءه، ارثا غنيا من كتبٍ النقد، في مختلف الاجناس الادبية، كما ترك، ايضا، بصمته الواضحة على كتابات اجيال من الادباء، وسوف يظل علي جواد الطاهر رمزا كبيرا، لامعا، من رموز تاريخنا الادبي، في العراق..

عن مجلة الاقلام ١٩٩٧
ملفا اعده الأستاذ حسب الله يحيى

كان الطاهر شديد التواضع، برغم سعة علمه، وكبر مقامه وذيوع اسمه او بالاحرى كان متواضعا لهذه الاسباب، فاذا زرته استقبلك عند باب بيته، ومشى معك، بعد ذلك، الى الباب مودعا، وكان يعامل الكبير والصغير – سنا او مقاما- بالنبرة الودودة نفسها.

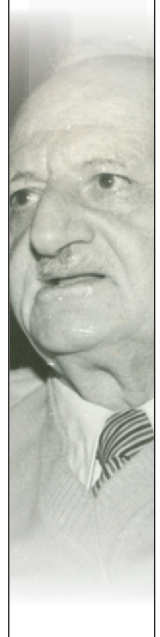

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

علي جواد الطاهر . . ناقداً

د. جلال الخياط

حينما نكتب عن انسان فارقنا قريبا نأذن لمنهج البحث ان يفسح لنا المجال في ان نعبر عن الحزن قليلا وعن الاعجاب كثيرا.

من صفات الطاهر التي يصعب الاحاطة بها انه ترك نفسه على سجيتها في العلم والحياة، وهذا يفسر لنا موسوعيته وجمعه بين القديم، اكتشافا للجوانب المضيئة من التراث، وما يحتمه العصر الحديث من تخصص، ويسوغ اتساع اهتماماته الثقافية: الكتابة عن الشعر العباسي، في مراحل متأخرة وجوانب مهملة، والعناية الشديدة بالطغرائي، وتحقيق النصوص، ومتابعة اخطاء الكتاب، وتدريس النقد، وتأليف مقدمة فيه، وكتابة المقالات واعلاء شأن هذا الجنس الادبي ابداعا صرفا كالشعر والقصة، ومنهج البحث الادبي، واصول تدريس اللغة العربية، والمذاهب الادبية، ونقد القصص والشغف بادباء معينين، وترجمة نصوص من الفرنسية ومتابعة ما تنشره المجلات الادبية، والاشتراك الكبير في الندوات والمؤتمرات والمناقشات. من هذا النشاط الدائم حتى اخريات حياته، ومن هذه الطاقة المستمرة التي لم تتوقف الا حين شاء لها الداء اللعين ان تفعل، ومن هذه المؤلفات الكثيرة ومن مئات المقالات والمقابلات، ومن عشرات المحبين والحاقدين ومن ندوات الثقافة والشعر والقصة.. هل نستطيع ان نفرد الطاهر في زاوية نقدية معينة محددة ونتحدث عنه منطلقين منها: ليس ذلك سهلا، ولكننا نفعل لان الاحاطة بالجزء قد تكمله احاطات اخرى بما تبقى: فالنقد الادبي نشاط قائم بنفسه اذا اشرك به جار الشريك على الشريك.

ولكنه كان اول من دعا الشركاء ان يجوروا.لم يكرس الطاهر، طالبا في القاهرة ودارسا في السوربون، نفسه ناقدا محضا، تشهد لنا بذلك اهتماماته المتنوعة، الا انه يبرز من خضم انتاجه الثر استاذا فذا، في دار المعلمين العالية، يدرس النقد فيقدم خلاصة تجاربه في كتابه: مقدمة في النقد الادبي الذي يفيد دارس الادب في معرفة دواخل النقد الحديث نتيجة لجهد ومثابرة ومتابعة طويلة، كتاب جامع رائد في التوطئة لدراسة النقد وتأكيد عنصر الابداع فيه.

سماه مقدمة ليكون للمتخصص مصدرا في النقد الحديث، العربي والاجنبي، وللمبتدئ رفيقا الى عالم النقد الواسع وطريقا الى مراجع وتجارب جديدة، فمن تحديد المصطلحات الى الاجناس الادبية وما يميزها والفروق والتشابه، والى الاسلوب المتفرد، اس نجاح اي عمل فني، والى مناهج النقد المختلفة، الخ ومئات المصادر والمراجع.

وللطاهر منجز نقدي كبير آخر يتمثل في النقد التطبيقي الذي يقل لدى غيره كلما كثر النقد التنظيري الذي لايتطلب في معظم امثلته، جهدا كبيرا، ولا قدرة خاصة وشمل نقده التطبيقي شعراء وقصصيين وكتابا وباحثين، ولكنه، دون الشعراء المحدثين عامة، ركز احدى دراساته على حسين مردان الذي لم يتخذ مكانته اللائقة في البحوث، ولم يدرسه شاعرا او رائدا او مبدعا للنثر المركز، بالرغم من شحة ما كتب عنه، ولكن اختياره انصب عليه مقاليا، وما اندر من كتب او تنبه على اهمية المقالة لدى مردان او غيره، فمردان بارع في مقالاته، والطاهر مولع بفن المقالة: المقالة وحدها لديه عالم واسع وحرية مطلقة شكلا ومضمونا فهو يكتبها حينا مبدعة وحينا تعليمية وحينا بين بين.كتب الطاهر ما يقرب من سبعين صفحة ومن الصعب على غير الطاهر ان يدون سبع صفحات عن مقال ما، وليست القضية بالكم، نفذ الى اعماق الرجل وكشف عن نفسيته بتحليل دقيق مستمد من المقالات التي كتبها مردان وبما حول ذلك: ليس الذي صنعه ابو علي بالقليل، وقد صنعه في سطور معدودة مستكملة الوحدة التي يطلبها العمل الفني (حتى من خلال التمزق السريالي) وتطلبها المقالة في احدث ما استقرت عليه بعد تاريخ من التطور غير قليل في ميدان الجميل والاجمل.

هي مقالة بهذا، وبالمفردات المختارة والتراكيب المستقة، وهي مبدعة بالانفعالات والعقل الباطن، والعقل الواعي، الصور والخيال، والجرأة في قول الاشياء التي لايقولها الا صاحبها وبالنمط الذي هو خاص به، من اعلى عليين الى اسفل سافلين.

ومبدعة كذلك لانها، وان كانت مقالة اولا واخيرا، اخذت من الشعراء اشياء ومن القصة اشياء فزادت خيوطا في نسجها ومدت نسغا في نسغها حتى كادت تفقد اصالتها النوعية، ولم تفقدها.

وليس ما كتب الطاهر بحثا ولا مقالة ولا تعليقات انه السرد الممتع، الممتنع عند غير الطاهر، الممتد بلا ثقل او خلل من البداية حتى النهاية، انه النقد الابداعي، تقرؤه نصا، وتدرك ان اوهام الاخرين لازمت مردان واحاطت به وكادت، ولاتزال، تفقده مكانته لدى باحثين، انه بوهيمي، سكير، منفلت، غير ملتزم، لايقر على قرار، ولاثقة فيما يقول.. الخ.

واذا به شخص متزن منتم (الى نفسه على الاقل) ملتزم بما يمكن ان نصف شخصا مثالا في الخلق الاجتماعي الدائر، رائدا في الشعر والنثر، مجدد خرق التقاليد السائدة ليقيم له عالما خاصا ينطلق منه الى اجواء مغايرة لكل ما حملته السنوات من اوضار القانون، (حسين مردان شاعر، وشاعر معدود مشهور في العراق، وجريء، ومجدد، وهو الى ذلك محبوب، حلو المعشر، نقي السريرة.. اما ما يشاع عنه من سوء فمبالغ فيه، ومختلف وصادر من سوء فهم.. لم يسء لاحد.. ولم يهزل في جد.. ولم يقصر في واجب..

ومن كان يجهل ابا علي- والجاهلون به كثيرون – فليعلم انه كما بدأ او يبدو وان له وجها آخر، وانه قبل كل شيء رجل اخلاق، ولامفر لرجل الاخلاق من الحوار الصامت، مع النفس، ومن كشف الحساب في المناسبة ولم يكن ماكتب الطاهر اخلاقيا وعظيا ولكنه اختراق لاعماق هذا الانسان بالكشف عما غفل عنه الاخرون، فقدم صورة متكاملة عن الرجل، واي هدف يمكن ان يحقق النقد اكثر من هذا، فهل يمكن ان نعد الطاهر ناقدا نفسيا؟.

نشر مردان مقالات في مجلة (الف باء) على مدى اربع سنوات يمكن ان نطلق على قسم منها تسمية النص المفتوح فقد وشجها بشاعريته فكتب المقالة – القصة- القصيدة، وكان في هذا نسيج وحده بين الكتاب افصح فيها عن رؤاه وفلسفته وموقفه من العالم: ان للمقالة المردانية حظها العالي من الابداع، وحظ صاحبها

من صفات الطاهر التي يصعب الاحاطة بها انه ترك نفسه على سجيتها في العلم والحياة، وهذا يفسر لنا موسوعيته وجمعه بين القديم، اكتشافا للجوانب المضيئة من التراث، وما يحتمه العصر الحديث من تخصص وتور، ويسوغ اتساع اهتماماته الثقافية: الكتابة عن الشعر العباسي، في مراحل متأخرة وجوانب مهملة

الذي يميز في تاريخ المقالة العربية فضلا عن العراقية.

لم يحظ مردان في كل ماكتب عنه باحاطة شاملة منصفة مثلما فعل الطاهر، ولم يكتف بذلك بل جمع شتات مقالاته وقصائده التي يصعب كثيرا ان نعود اليها في مظانها الاولى.

ولايختار الطاهر مايكتب او عمن يكتب عفوا، فالقصيدة واضحة في ارتياد موضوع جديد لدى مردان، وهذا ينطبق على عبدالجبار عباس: كلاهما بارز في ميدانه، وكلاهما كاد، لتقصير يشترك فيه الجميع، يطويه النسيان، واذا بكتابي الطاهر يضعان الامور في نصابها وكأني به اعاد صياغة انتاج الرجلين من جديد،، وهذه مهمة للنقد الادبي رائعة..

فان كان هناك من كتب عن مردان تأبينا او بحوثا، فان الاهمال رافق عبدالجبار عباس، في حياته وبعدها، لعزلة فرضها على نفسه ولاسباب شخصية اخرى فيأتي الطاهر بالحبكة المنغمة ليبوئ الناقد مكانته الملائمة من دون انفعال او حماسة، ويجد فيما كتبه عباس سعة نادرة وترينا نظرة اليه سعة الميدان الذي يجول فيه عبدالجبار عباس واشك في ان كاتبا عربيا اتسع في نقده اتساعه.. انه يسبر الغور ويعود باللئالئ ليقدمها في نسيج منسق بقلم مرهف.

ويدرس الطاهر الناقد من خلال ماكتب ويكشف عن شخصيته وافكاره واذا الححنا في ان ندعو الطاهر ناقدا نفسيا نجد ما يؤيدنا في كثير من دراساته وارائه.ويتابع الطاهر جهود عبدالجبار عباس الادبية والنقدية خاصة، ويبحث في مخلفاته، بعد موته، لعله يرى فيها ما ينفع: (ومن الفوائد التي تقرب القارئ او الباحث من الناقد الراحل فيما وجدنا فيما وجدنا في مخلفاته من آثار مايؤكد سعة عالم القراءة لديه بين تراثي ومعاصر، وموضوع ومترجم ومبدع وغير مبدع، وعربي وغربي وعلمي ونظري، في الشعر والقصة والنقد، لعراقيين وعرب وغربيين.

وتدور مقدمة الطاهر للحبكة المنغمة على النص واهميته وموقف عبدالجبار عباس من النقد وما قيل عنه من انه انطباعي صرف، وكان عباس اكد بلا مواربة انطباعيته واعتد بها في مقالة عنوانها:

اجهر انني ناقد انطباعي..

يقول الطاهر عن عبدالجبار عباس: انه ذو موهبة في نقده اولا، وله وراء ذلك شخصية متفردة، تعرف كيف تفهم النص وكيف تدرك ابعاده وتعرف ماذا تأخذ وماذا تدع وكيف تتعامل في التحليل، وكيف تعرب عن هذا الذي اختمر لدى التركيب فاذا هو كيان متماسك اخذ بعضه برقاب بعض ينساب الرأي فيه انسيابا وتنسجم الفقرات انسجاما.

ان عبدالجبار عباس، اولا وآخرا، ناقد، وناقد حقيقي استثمر للنقد شؤونه الاخرى في الحياة والدراسة والثقافة والقراءة الواسعة والشعر والمقالة المبدعة.. استثمرها كلها وسخرها كلها لما له في ان يكون، ولما هو ميسر له.

ويدعو الطاهر الى ان يتخذ الناقد ما يشاء من المناهج وان يلم بها وان يكون ايضا فوق هذه المناهج، اي ان تتحول لامنهجيته منهجا خاصا به (نعم، يحسن بمزاول النقد ان يلم بهذه المناهج، ولكنه يجب ان يكون- حين يكون اصيلا- اكبر منها واوسع منها.

ثم يسأل الطاهر عن طبيعة النقد الذي جاء به عبدالجبار عباس وماذا نسميه: عابه اناس بأنه انطباعي محملين الانطباع الانفعالية المطلقة والذاتية المطلقة والهوى والنزوات المتقلبة، وهذا غير صحيح، ولم يكن شيء منه في عبدالجبار عباس،، انه راح يتبنى الانطباعية فاذا هو ناقد انطباعي، ولكن بالمعنى الذي هو عليه وله، ومضى يشرح الانطباعية ولكن بالمعنى الذي هو عليه وله، ومضى يشرح الانطباعية التي ينتسب اليها فاذا هي ما رأينا فيه من موهبة ووقفة واعية متأنية تدرك سر النص في اصالة وشخصية وذوق ورهافة.

فهل كان الطاهر نفسه ناقدا انطباعيا؟.

لم يستطع قسم من متابعي نتاجه سوى ان يصفوه بالانطباعي ونرى صدى لما يقولون في بعض آرائه، ويأتي الرد من الطاهر نفسه:

وتقدم المجتمع الانساني، وتعقدت الحضارة، وصار من فضيلة الانسان الا يكون تأثريا في احكامه، وتحليلاته،، ولكن هذه الانطباعية (التأثرية) شيء والانطباعية في الفن والادب والنقد شيء آخر، والفرق الاساس بين الانطباعيتين يكمن في ان الاولى تلقائية فطرية، والثانية تقوم على دعوة يتبناها اعلام معينون يبرهنون على صحتها وصحة سيادتها مقابل مناهج سادت –طويلا او قصيرا- انكرتها قصدا ومن غير قصد.

فالانطباعي يقف طويلا عند النص الادبي يقرؤه ويعيد قراءته ويستجلي مزاياه واصالته مستعينا بما حول النص.. وكأن ما يعمل على معالجته دراسة ومسؤولية، وتستوي الدراسة في نفسه على سوقها مادة وفكرا وتاريخا وتجربة وتستحيل تجربة مستوحاة من تجربة، وتجري هذه الامور كلها بدءا من الاقبال على القراءة وانتهاء باستحالة تجربة الاخرين تجربة ذاتية.وللناقد ان يكف عن الخجل من الانطباعية (التأثرية) لانها ليست عارا او تهمة، انها تضرب في كل المناهج والاتجاهات النقدية القديمة والحديثة او انها المنطلق للمنهجية الصحيحة.

فهل الطاهر انطباعي في احكامه؟ يبدو للاخرين كذلك متمثلين في النتائج التي يتوصل اليها بتقويمه لنتائج الكتاب، ولاسيما الشباب، ان يرفع او يخفض متخذا من النقيضين اقصى الحالات تطرفا وعنفا وعشقا في الاطراء ومقتا في الذم.

الطاهر ليس انطباعيا ان متابعة دقيقة لدراساته كلها تظهر مسارا داخليا ينتظمها قائما على اسس موضوعية شخصية وثقافية ونفسية اولا تدعمها تجربة واسعة ثرة: وهذه هي الموضوعية الحقيقية، هي ان تتعامل مع النص بما يقوم عليه النص وما يدل عليه، وهذه هي الشخصية الناقدة، هي ان تعرب عما يكون لذلك النص من اثر، وبما يمكن ان يشيع من تأثر فيما يتميز به مما سواه، وفيما يفرض القول فيه عليه.

ليس انطباعيا، انه الطاهر ناقدا ورائدا للنقد الادبي في العراق.

مجلة الاقلام ١٩٩٧

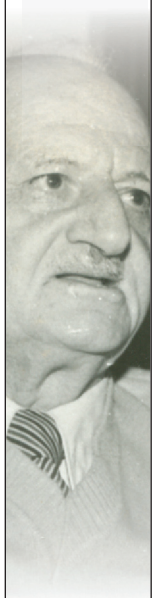

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

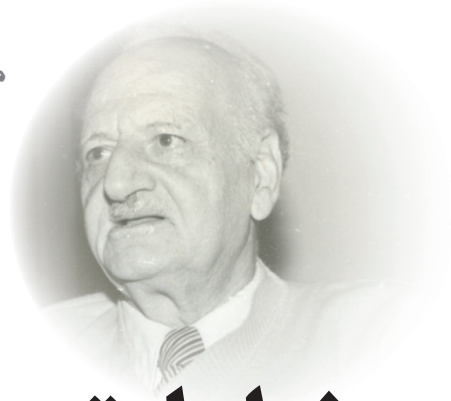

(يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية) ولكن نفسه لم تكن مطمئنة ولم يكن يطلب جنة او جزاء او شكورا، كان يعمل ويعمل، ويقرأ ويقرأ وعروق عينيه مدمية من الانهاك، في كل مكان في الجريدة والمجلة والاذاعة والتلفزيون، وفي اتحاد الادباء واماسيه لايستقر قط، ومأثرته الكبرى طريقة تدريسه، فما ان يدخل في الصف حتى يشعل الحماسات والفضول، ولا ينقطع عن الحوار والاصغاء اللماح، والتعليق الحاد حتى في ممرات الكلية.

خطرات عن علي جواد الطاهر

صلاح نيازي

لا اعرفه لانه لم يتحدث عن شؤونه الشخصية البتة، ولايبارز او ينابز بأي مشروع ادبي او طموح من اي نوع،، لله دره، لم يغتب احدا الا في وجهه، ولم يستدر دمعا بأية شكوى، فما بكى منصبا فاته، ولاحيفا لحقه، كان وكأنه يخلع تعاساته واوجاعه وهمومه في البيت، كما يخلع بجامة النوم، بيد انه ما ان يضع قدمه في الشارع حتى يستحيل الى كيان ساخن متوهج، لاينبئ عن قلقه الا عينان تتلفتان يمنة ويسرة، ويدان تجدفان ضد تيار قوي، هذه مشيته لك كل وقته، ولا وقت لديه، مثل قبطان مسكون بالامل واليأس معا في سفينة جانحة، مثل سباح ينتشل الغرقى، ديدنه الانجاز والاتقان ليس الا، وجنوح سفينة او غرق حالتان مصيريتان لاتقبلان الثرثرة او المجاملة او انصاف الحلول او انصاف المواهب، هكذا كان الطاهر يجابه الحياة الادبية بالعراق وكأنها مقبلة على غرق، فلا عجب ان عادى اشد عداء الكسل والزيف والغرور والانتهازية، على وجه الخصوص، واكبر ظني انه من العراقيين الاوائل الذين جعلوا بطلهم المثالي، التحريض على العمل واتقانه، فكان هو نفسه قدوة في المثابرة ونكران الذات، حتى ليمكن اعتباره من اكبر المواد المساعدة في التفاعل في المجتمع العراقي وليس لدي ادنى شك بانه يستحق بجدارة لقب (استاذ الجيل) فهو لايقل شأنا حتى عن اكبر المصلحين التربويين الذين مروا بتاريخنا قديمه وحديثه، ولكن اين تكمن قوته الفعلية في النقد؟ ام في التحقيق؟ ام في بحوثه الادبية؟ ولكن قبل ذلك، اذكر انني تعرفت على الطاهر، في اول يوم تقدمت فيه للانتساب لكلية التربية كنت مقبولا في فرع الفيزياء ذكرت له انني ارغب في تغيير فرعي الى اللغة العربية، فسألني عن اهتماماتي، ثم طلب مني ان اقرأ له شيئا من كتاباتي، وماهي الا ايام قلائل حتى تم التحويل، وعلى مدى اربع سنوات كان لي خير عون في اكتشاف عيوبي، وما اكثرها، وهو الذي كتب لي توصية الى جامعة لندن، وهكذا ترون عظم ديني لهذا الرجل اذكر انه كنا في العطلة الصيفية وكانت الشمس تكاد تذيب الاجر فجاء بالتوصية باللغة العربية مترجمة الى الفرنسية، ومختومة بختم الجامعة كتب رأيه الصريح بقابلياتي وكأنه فصل الثوب على مقاس الجسم حتى وان كان لجامعة اجنبية قلت انها جامعة انكليزية وربما يفضلون التوصية باللغة الانكليزية، كان الدوام قد انتهى فوعدني خيرا، وفي اليوم التالي سبقني الى الجامعة واكمل كل شيء واعطاني اياها بلا ادنى منة، هذا هو الطاهر باختصار سيد الى الجامعة، وسائر افضاله اريحية وواجب وليست دينا.

درست على يد الطاهر النقد والانشاء واهم من ذلك كان يدرسنا فن التواضع ويبدو لي ان الطاهر وضع يده على اخطر ادواتنا وعاهاتنا -نحن العراقيين- الا وهي الغرور وهل يجر الغرور الا الى الادعاء والصلف والتعالي.

كان الطاهر قد درس في السوربون بباريس، وعنوان اطروحته الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ولكنه لم يدرس هذه المادة، ولكنه اختير لتدريس مادة النقد التي ربما كانت بعيدة عنه اكاديميا، ولم يكن له فيه اي نشاط يذكر، وهكذا كان يشير علينا بقراءة ما ترجمه محمد مندور وسهير القلماوي عن الفرنسية، لم تكن طريقته في التدريس تلقينه قط، وانما تركزت في النقاش النظري وفي اظهار قوة النص او ضعفه عمليا، وهذا يقودني الى القول ان الطاهر كان يهتدي في نقده الى قراءة بنظريتين متناقضتين، هما نظرية الناقد النسبي (جيلمتر) الذي كان يدعو الى قراءة النص وحده دون الالتفات الى كاتب النص او تأثير البيئة، اي عليك ان تقرأ النص وكأنه انحدر اليك بلا مؤلف وخلو من اي تاريخ، اما النظرية الاخرى فهي نظرية الناقد الفرنسي (سانت بيف) التي تصر على انه لايمكن فهم النص -اي نص- مالم تتعايش مع مؤلفه، سيرة وبيئة وثقافة، وهذا ما طبقه الطاهر عمليا في كتابه (محمود احمد السيد- رائد القصة الحديثة في العراق) وكذلك في دراسته لحسين مردان، وصالح الجعفري، ولكن عند التدريس الصفي، تتبخر النظريتان، ويحل مكانهما الذوق والمزاج، بلا تعليل او تحليل، ومن هنا الحدة القاطعة في اجوبة الطاهر، سأل مرة مثلا الطلاب عن رأيهم في بيت الحارث بن حلزة..

اجمعوا امرهم بليل فلما
اصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

فهب احد الطلاب ملبيا، وقال: ممتاز فيه حركة.فاجابه الطاهر فورا: فيه تنكه! وهكذا اغلق الباب ولاندري لماذا.

ولكن مما كان يخفف من غلواء تلك التصريحات اخلاصه الشديد وتنزهه من كل حقد وتواضعه الاكيد، فمن نزاهته، انك لولا اسمه لما عرفت من اي دين هو، ولا الى اي مذهب ينتمي، دينيا كان ام سياسيا اما تواضعه فلا ادل عليه، من انك اذا وقفت معه فانك لاتشعر الا وهو ندّ لك، لايفضلك بشهادة، ولايكبرك سنا وتجربة كان كثيرا ما يردد ونحن نماحكه بالنحو والصرف: لقد تعلمت منكم اشياء اكثر مما تعلمته من قراءاتي، وقال لنا مرة عن هؤلاء الذين كانوا يتحدثون عن سارتر والوجودية، انني وكل العارفين باللغة الفرنسية، لو اجتمعنا لما استطعنا ترجمة صفحة واحدة من سارتر، ومما يثير الاعجاب بقول كهذا، هو مانعرفه عن تضلع الطاهر في اللغة الفرنسية فيما يستشهد به من مصطلحات فرنسية ادبية عويصة،، وخاصة في كتبه مقدمة في النقد الادبي، والخلاصة في مذاهب الادب الغربي، ومنهج البحث الادبي، بالاضافة الى ترجمته لمجموعة من القصص الفرنسية عنونها (الابن وسبع قصص)..

تساءلت قبل قليل، اين تكمن قوة الطاهر الفعلية في النقد؟ ام في التحقيق؟ ام في بحوثه الادبية؟ فعلى الرغم من كتاباته الواسعة عن الشعر وما كتبه عن القصة حيث نشر كتابا بعنوان في القصص العراقي المعاصر،، وما حققه من دواوين بالاشتراك مثل ديوان الخريمي، والجواهري، والطغرائي، وصالح الجعفري، ولا ادري هل صدر تحقيقه لـ(درة التاج من شعر ابن الحجاج) الا انه لم يكن عالما بالجمال بقدر ما كان ذواقا له، وهو بهذا ينتمي الى المدرسة القديمة في النقد وهي مدرسة ترجع الى العصور الاسلامية الاولى وتجدها خاصة لدى شراح الدواوين ولدى الصاحب بن عباد وابي حيان التوحيدي وابي علي القالي التي نشرها بالاندلس عن طريق امالية، اما في هذا العصر فعلى رأسها طه حسين ومارون عبود وروفائيل بطي، وهؤلاء جميعا يدلونك على النص الجميل المؤثر، ولكنهم لايعطونك اي تعليل لجماليته، فانت لاتدري مثلا، لماذا يفضل طه حسين المعري على المتنبي، ولماذا يفضل مهدي البصير، حافظ ابراهيم على احمد شوقي كانما يقولون: هذا ذوقنا وكفى.

قرأت مرة للمرحوم الطاهر، قولا يندم فيه على توزيع طاقاته في نشاطات مختلفة، وسمعت نفس الندم من المرحوم نجيب المانع وماداما قد اعترفا فلا بد اذن من تعليق ان التوسع في شتى انواع الثقافة ضروري لكل اديب، ولكنهما للاسف ارادا -كما يبدو- ان يكونا الافضل في كل اختصاص مع ذلك فبهذا التوسع كانا قد حصلا على شيء ثمين نفتقر اليه بالعراق الا وهو المقالة، وهما في نظري المتواضع من افضل كتابها.

ان الغنى المتنوع العجيب في العصر العباسي لم يبن في اغلب الظن الا على كتاب المقالات، وكذا الامر بمصر في الاربعينيات والخمسينيات ولا ادري كيف سيكون المجتمع الانكليزي ومن ورائه الناطقون بلغته لولا جون رسكن وتوماس كارلايل؟ هل نقيس تطور المجتمع بكتاب المقالة؟ ليت ذلك وليتنا نستبشر بكاتب المقالة ونحتفي به، مثلما كان العرب القدامى يستبشرون بالشاعر ويحتفلون به.

اجمالا يمكن لنا، وبلا تردد، ان نضع ايدينا على سرين من اسرار عبقرية الطاهر، اولهما تدريس الانشاء، ولحسن الحظ لقد ترك لنا كتابا نفيسا للغاية هو اصول تدريس اللغة العربية، وفيه عصارة تجاربه في التربية والتعليم، وهو وان كان موجها للمعلمين الا انه في الواقع مفيد لكل قارئ اما سر عبقريته الثاني، فهو المقالات المجودة التي ظهرت بكتابين هما (مقالات) و (وراء الافق الادبي)، وفي هذين الكتابين نجد شخصية الطاهر الحقيقية وبهذه الصفة نحتفي به كأحد اساطين المقالة بالعراق.

اذا جاز لي ان اختم هذه الكلمة العجلى بوتيرة شخصية، فانني اعترف امامكم، منذ ان تعرفت على (علي جواد الطاهر) والى الان، لم انظم قصيدة او اكتب بحثا او اقوم بترجمة الا واقول في نفسي ما الذي يقوله الطاهر؟ بصدق لقد كان معياري في كل ما اكتب فهل اجرؤ واقول له ما رأيك بكلمتي هذه؟ كان سيحمر خجلا كعادته يتلوى بكل جسده، ويقول بكل تواضع، لم اسمع ويمضي الى شيء اكثر نفعا، بيدين تجدفان، كأن ضد تيار قوي، هذه مشيته.

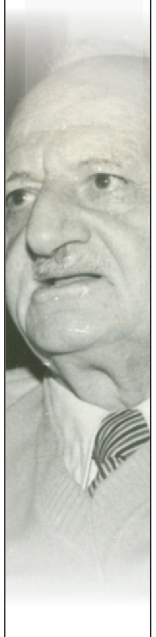

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

جماليات المقالة عند د . علي جواد الطاهر

د. فائق مصطفى

عرفت نظرية الأجناس الأدبية منذ عهد الاغريق وظهور نقد ارسطو في كتابيه المعروفين" فن الشعر" و" الخطابة" حيث قسم الشعر الى أربعة أجناس هي الشعر الملحمي والشعر المسرحي والشعر الغنائي والشعر التعليمي، في حين قسم النثر على الخطابة وغيرها. لكن الاجناس النثرية شهدت تطوراً وتنوعاً في العصر الحديث بسبب تقدم الحضارة فظهرت أجناس نثرية لم تكن معروفة من قبل مثل المقالة والرواية والقصة القصيرة والمسرحية النثرية والسيرة الذاتية.

يذكر المؤرخون أن الكاتب الفرنسي مونتين (١٥٣٣-١٥٩٣) هو أول من كتب المقالة في العالم، في كتابه" محاولات" الصادر في عام ١٥٨٥، لكننا نقول أن العالم والأديب البغدادي أبن الجوزي (٥١٠هـ- ٥٩٢هـ) سبق مونتين في كتابة المقالة بعدة قرون في كتابه " صيد الخاطر" الذي يتضمن قطعاً نثرية قصيرة تدور حول شؤون الحياة والمجتمع والدين وهموم النفس.

غير أن مقالات أبن الجوزي للأسف لم تترك أثراً يذكرفي الكتاب الذين أتوا من بعده، ولم يشتهر كتابه كثيراً، وعندما ظهرت المقالة في الأدب العربي في منتصف القرن التاسع عشر، كان ظهورها بتأثير المقالة الغربية ولما كان أحتكاك مصر ولبنان بالحضارة الغربية قبل أحتكاك غيرها من البلدان العربية، صارت الاسبقية للمقالة في أدبيهما ومن ثم النضج من هنا برز في مصر ولبنان كتاب كبار بمقالة أمثال الشيخ محمد عبده وطه حسين والعقاد والمازني واحمد أمين ومصطفى لطفي المنفلوطي والرافعي وزكي نجيب محمود وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمه..الخ.أما في العراق فقد تأخر ظهور المقالة فلم نشهد كتاباً مجيدين لها الا في النصف الثاني من القرن العشرين أمثال الجواهري وعلي جواد الطاهر ويوسف الصائغ وعبد المجيد لطفي وعبد الجبار وهبي(ابو سعيد) وداود الفرحان وحسن العاني وغيرهم.لكن نقد المقالة لم يحظ باهتمام يذكر من لدن النقاد والباحثين، ولاتزال المقالة جنساً أدبياً لم تكتب عنه الا دراسات قليلة جداً في العراق والاقطار العربية الاخرى، من هنا قلت في مناسبات عديدة، أن المقالة جنس أدبي مظلوم ومهمش لان الكثيرين لايعدونها من الادب، فكم من كتاب صدر ويصدر يحمل عنوان الادب الحديث في هذا القطر أو ذاك، نتصفحه فيه أثراً للمقالة.

من أجل ذلك كله كانت غبطتي عظيمة عند قراءتي كتاب الناقد الدكتور فاضل عبود التميمي" جماليات المقالة عند د. علي جواد الطاهر: (وراء الافق الادبي) مثالاً، الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة/ ٢٠٠٧ أحتوى الكتاب على أربعة فصول: الفصل الاول (جماليات الاثر والتوجيه وفيه تقصى الناقد المرجعيات التي أثرت في لغة الطاهر وظهرت سلطتها في نصوصه المقالية وهي القرآن الكريم والتراث العربي واللغة المعاصرة والمغرب، وقد توصل الناقد بعد دراسته لاثار هذه المصادر في مقالات الطاهر، الى" أن مصادر اسلوب الطاهر في (وراء الافق الادبي) وان كانت بينه في تضاعيف المقالات وفقرها الا أنها لم تستطع ان تلغي اثر الكاتب الواضح في لغته واسلوبه وقد لا اجانب الصواب حينما اصف اسلوبه بالسهل الممتنع.." (الكاتب/ ٢٨)

والفصل الثاني جماليات البلاغة في الاسلوب درس فيه الناقد الظواهر البلاغية والأسلوبية التي تتكرر في مقالات الطاهر وهي الاستفهام والتكرار والسجع والطباق والعكس أو التبديل.

وبعد دراسة هذه الظواهر الاسلوبية والبلاغية قال الناقد: وبعد فهذه ابرز خصائص اسلوب د. علي جواد الطاهر في كتابه المقالي (وراء الافق الادبي) وليس صميماً قاله الناقد د. مدني صالح من أن مقالته خلت من البلاغة وأرتضت لنفسها ان تقبل بالخبر والانشاء المحضين اللذين يهبطان بالمقالة الى مستوى الاخبار المقروءة بالجرائد". (الكتاب/ ٦٠).

أما الفصل الثالث جماليات الاعتراض فخصصه الناقد لدراسة جماليات الجملة الاعتراضية بلغة المقالة التي لاتفارق ابداً جمال الاسلوب وانما تعمل على تأثيره لكن الفصل الرابع (جماليات البناء والتشكيل) دار على بناء المقالة وقد تأكد ان الطاهر يعتمد على هندسة معينة في تشكيل مقالاته وابرازها للوجود فهو يقدم الشكل على المضمون لان اعتزازه بالشكل يفوق اعتزازه بالمضمون والاعتزاز بالشكل يعني عنده العناية الخاصة بالادارة الفنية والسعي الحثيث الى عنصر الطراوة وهذا لايعني اهمال المضمون فهو في كل الاحوال قرين الشكل ومنبثق منه. (الكاتب/ ٨٣).

ان لهذا الكتاب فضائل عدة اهمها انه واحد من الكتب القليلة التي لاتتجاوز اصابع اليد التي صدرت عنه ادب المقالة في العراق ومن هذه الكتب كتاب اساليب المقالة وتطورها في الادب العراقي الحديث والصحافة العراقية للدكتور منير بكر ورواد المقالة الادبية في الادب العراقي الحديث لعبد الجبار داود البصري وهو حسب علمي اول كتاب في النقد العراقي والعربي، يختص بدراسة كاتب واحد، وفوق ذلك يأتي الكتاب دراسة تطبيقية لنصوص مقالية تعنى بجمالياتها دون الانصراف الى مضامينها وافكارها كما هو شأن اغلب الدراسات عن أدب المقالة ولهذا كله سيكون الكتاب مصدراً في غاية الاهمية لطلبة الدراسات العليا والباحثين المهتمين بادب المقالة. غير ان شيئاً في الكتاب ربما يراه بعض الباحثين غير منسجم مع متطلبات الموضوعية التي تشترط في البحوث والدراسات العلمية والاكاديمية وهو ظهور عاطفة الناقد بين صفات الكاتب على نحو لافت للنظر تجاه الاستاذ الكبير الطاهر، ومثل الامر نهى عنه استاذنا الطاهر نفسه في كتابه (منهج البحث الادبي) فهو يقول في صفحة (٤٧) في الكتاب " وهو يعني (الانصاف والموضوعية) الا تقبل على موضوعك بعصبية معينة له او عليه فتجرفك الاهواء يعنى بعيدا عن صميم عملك وعن الحق الذي يشترط ان يكون رائدك.

فليست البحوث اعمالا تقوم على العاطفة يشبع بها فلان نهمه او يرضى فلان نزوته فيرفع من يريد ان يرفع و يخفض من يريد ان يخفض أجل ان استاذنا الراحل يستحق كل ايات الحب والتقدير والاجلال لكن مجال العواطف والمشاعر يكون في مقالات ننشرها في الصحف والمجلات ومحاضرات نلقيها في المناسبات، غير ان الدراسات التي تنشر في كتب كما ارى ينبغي ان تكون بعيدة عن العواطف حتى تتوافر فيها الموضوعية فتكون مصادر يعتمد عليها في الجامعات والمؤسسات العلمية كافة.

تحية وتقديرا للزميل الناقد الدكتور فاضل التميمي لاصداره هذا الكتاب القيم.

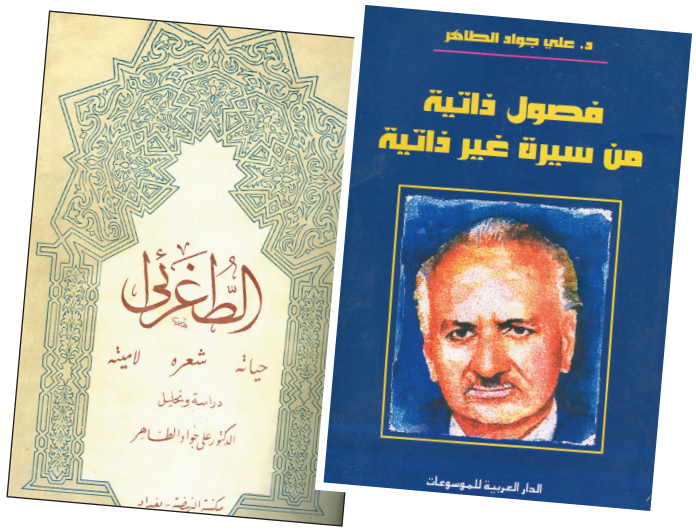

نقد المقالة لم يحظ باهتمام يذكر من لدن النقاد والباحثين، ولاتزال المقالة جنساً أدبياً لم تكتب عنه الا دراسات قليلة جداً في العراق والاقطار العربية الاخرى، من هنا قلت في مناسبات عديدة، أن المقالة جنس أدبي مظلوم ومهمش لان الكثيرين لايعدونها من الادب.

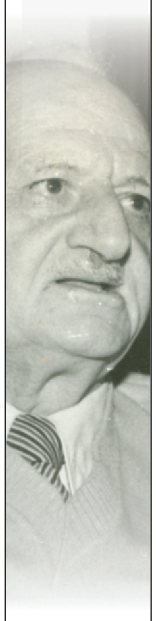

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

استاذي العلامة الدكتور الطاهر

د. محمد حسين الاعرجي

لن يستطيع التلميذ ان يوفي حق استاذه، وكيف يستطيع وفجيتعه بوفاته وحدها كفيلة ان تخلخله، فما بالك وقد فجـع بخبرين في شهر واحد، وفاة ابيه بالدم، ووفاة ابيه بالروح، الدكتور علي جواد الطاهر، أبي رائد؟.

مضى احبابي ما ودعت من احد
منهم، ولا ودعوني يوم ان عزموا
أأذكر الجرح ام انسى اذاعته
حسب الجراحات الا يذكر الالم

أمـا ابي، فلن استطيع ان ارثيـه للناس، لانه لم يكن يزيد – عليه رحمـة الله ومغفرته- عن كادح من عامة الناس.. واما ابي بالروح فقد كان ابا لاجيال استطيع ان ارثيه لهم، واستطيع ان اباهي به كما يباهون، ولكن ماذا اقول؟.

وتزدحـم الذكريـات في ذهـن التلميـذ، فأيهـا ينتقـي، وايهـا يـدع؟ ويالله ويالذكريـات كمن تتوهـج في الاسى، ولكنـه ليس اسـى المفجـوع بعزيز انه مـات، فقد قال المتنبـي العظيم قبل اكثر من الف عام:

نحن بنو الموت فما بالنا
نعاف مالابد من شربه؟!
يموت راعي الضأن في جهله
ميتة جالينوس في طبه

ولكنـه اسى من نوع آخر اعمق واشف، اسـى لابـد انـه تـرك غصـة في روح الدكتـور الطاهر اسى مـن غصة الموت نفسهـا، هـي غصتـه ان يمـوت والامل لم يتحقق، واكاد اتصـور غصته، وهو يحتضر- مرددا قول الشاعر القديم:

وان بقاء المرء بعد عدوه
ولو ساعة من عمره لكثير
فقد مات ولم يفـرح ببقاء كثير ولا قليل بعد عدوه.

ويتذكر الان التلميذ استاذيه الدكتورين المخزومـي والطاهـر- وقـد دعيـا الى القـاء محاضرات على طلبـة الماجستير بجامعـة قسنطينـة في الجزائـر- ان ساكنـاه بعـد انتهـاء المحاضـرات في شقته بالجزائـر العاصمة في محلة ابن عكنـون ينتظـران موعد الطائـرة التي تقلهما الى بغـداد ايـاما ويتذكر من هذه الاقامـة الطيبة كل عطرها الفاغم، ويلح عليـه من بين هـذه العطـور عطر واحد هو ان استيقـظ –ذات صباح- استاذه ابـو رائد، فأطـل من شبـاك غرفته على اطفـال جزائريين يلعبـون فتذكر طفله، اربد- وكان ذلك في خريف عام ١٩٧٩- فدمعت عيناه، فسأله تلميذه عن دموعه فأخبره بما يحس.

اما كيف اعجب التلميـذ باستاذه فلذلك حديث آخر.

لم اكـن معجبـا بالدكتـور الطاهر، لانه عـالم فحسب، ولا لانـه استاذي فحسب وانمـا اعجبـت بـه واكبرته، لانـه كان اسـتـاذا من طراز خاص، لايكاد يشبهه اسـتـاذ آخر، اذ كان اسـتـاذا يربي العقل اكـثر ممـا يحشـوه بالمعلومـات وان انسى لا انس اننـي وهمت ذات يوم في امتحـان الادب العباسـي عنده، فاجبت عـن سـؤال لم يسألنـاه- وكانـت ورقة الاسئلـة تتألـف من سـؤال واحد- واذ اكتشفـت وهمـي خائفـا وجـلا موقنـا بالرسـوب ضحـك هـو – عليـه رحمـة الله- قائلا:

-حسنـا سأعطيـك صفرا علـى الاجابة وينتهي الامر.

ثم سكت لحظة وسألني.

-عمّاذا اجبت؟.

فقلت:

-عن الرسائل الديوانية: فقال:

-حسنـا سنغيـر السـؤال في ورقتـك الامتحانيـة بحيـث يكـون سـؤالا عـن الرسائل الديوانية، وسأصحح اجابتك علـى هـذا الاسـاس وهكـذا كان الامر، ولم يكـن الدكتـور الطاهـر يفعـل هـذا وهو الشديـد الشديد، ولكنه كان حسن الظن بتلميذه الذي كان من حسن الحظ وحـده – وليـس شيئا آخـر، يكون في نجاحه الاول على زملائه وعلى سواهم من طلبة الاقسام الاخرى.

واتذكـر- ونحن في السـنـة الرابعة من كلية الاداب.. انه صدرت قصة (اللعبة) للاسـتـاذ يوسف الصائـغ، وانها اثارت في حينهـا ضجة كبيرة فمـن قائل: انها كاسمها (لعبة) ومن موقن انها مسروقة مـن الادب السوفياتي (يومـذاك) ومن معجـب بهـا، فكلـف الدكتـور الطاهـر ثلاثـة من تلاميذه كنـت واحدا منهم ان يكتبـوا عنها نقـدا وكان يدرسنـا مادة النقـد الادبـي، ثـم استحالـت دروسه تلـك الى كتابـه الممتـاز: مقدمـة في النقـد الادبي- واذ كتبنـا، وحان موعد القـاء مـا كتبنا على زملائنـا في الصف ليسمـع استاذنـا فيرى رأيـه، ويناقشنا زملاؤنا، لمحنـا ونحن في الصف وجها جديـدا كدنا نظن انه طالـب منقول الى صفنا لولا ان عمره كان يكذب ظننا ولم نجرؤ- ونحن نتهامس- ان نسأله عمن يكـون؟ واذ جـاء استاذنا قـرأ الفضول في عيوننـا مبهما، فبـدأ محاضرته ذلك اليوم:

-الـذي بينكـم هـو الاسـتـاذ يوسـف الصائـغ صاحـب (اللعبة) وقـد دعوته الى هنـا ليناقشكم فيما كتبتم، فمن يبدأ منكم بالقراءة؟.

وقرأنـا، سـلام، ووليـد، والمتحدث، ما كتبناه، وناقشنا ونوقشنا، واذا انتهينا طلـب منـي ان اسلمـه مقالتـي ففعلت، اليـس من حق الاسـتـاذ ان يأخذ معه ما كلـف بـه تلميـذه؟ وظننـت ان الامر قد انتهى، وهو منته عند اي استاذ سواه، ولكنني فوجئت بعد شهرين او اكثر او اقـل- لا اتذكـر تماما بالدكتـور الطاهر وهو يعطيني مجلة (الاديب) البيروتية قائـلا: خذها فهي لـك! واخذتها اتصفح موادهـا واذا بي افاجأ بأن ما كتبته عن (اللعبة) منشور فيها، وكان الذي ارسله هـو الدكتور الطاهر، ولابد ان يكون قد استثمـر صداقتـه العميقـة مـع البـير اديـب، صاحـب المجلة، في نشـره والا فمن انا يومذاك، واليـوم ايضا، لتنشر لي (الاديـب)؟ وحماسته لمـن يظن انهم نابهون من طلابه مـن العجب العجاب، ولـو لا انـه كان يظـن انني مـن بينهم، لقلـت: انـه لم يخطـئ مـرة واحدة في ظنـه، ومن آيات هـذه الحماسة ان جاء الى القاعـة التـي نمتحن فيهـا امتحان التخرج، وكان ذلك آخر يوم من امتحان السنة الرابعة، فطلب مني ان القاه بعد الفـراغ في قاعـة الاسـاتـذة فامتثلت، وكان المرحوم الدكتور المخزومي معه- كمـا هي عادتهمـا- واذ حييتهمـا اشارا علـيّ بالجلوس، وبـدأ الطاهر الجنب والفكر والقلب:

-هل فكرت في مستقبلك؟

-ومـاذا عسـى ان يكون سـوى مدرس للغة العربية في احدى الثانويات؟

-لا، لا، ان مـن هـو مثلـك لاينبغـي ان يكون هذا مستقبله، ثم اردف:

-هيـئ نفسـك لامتحـان القبـول في الماجستير، وقدم اوراقك.

وهكـذا كان، بـل ان موافقـة مايسمـى بمجلـس قيـادة الثـورة علـى تأجيلـي مـن الخدمـة العسكرية قد صـدرت بعد انتهـاء موعـد تقـديم الاوراق الرسمية فاستصدر الدكتور الطاهر استثناء من عميد الدراسات العليا في جامعة بغداد بقبول اوراقي.

لم يكن الدكتور الطاهر استاذا فحسب، كان أباً.

واتذكر – وانـا اكتب رسالة الماجستير تحـت اشرافـه، وكتبـت الدكتـوراه فيمـا بعد تحـت اشرافه الكـريم ايضا- حوادث منها: انـه كان من عادته امعانا في الدقة والتدقيق ان يقرأ الفصل الذي يكتبـه تلميذه ثلاث مـرات، الاولى حين يأخذ الفصل من الطالب فيقرؤه وحده، والثانية حين يستدعي الطالب يقرأ عليه الفصل وهـو يسمع ويناقشـ، ويكون عليـه الرحمة حينئذ قـد دقق ملاحظاته في المـرة الاولى ووثقهـا- وتكون هذه القراءة عـادة في مكتبة بيتـه، والثالثة حـين يتم الطالـب رسالتـه فيقرؤها من

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

المقدمة حتى الخاتمة، والقراءة الثالثة تبلغ من الاهمية لديه بحيث ان لايعطي الاذن بطبع الرسالة الا بعد الانتهاء منها معجبا، وكان يريد من هذه القراءة شيئين، اولهما: ملاحظة المنهج الذي سارت عليه الرسالة وثانيهما التنبيه على مايمكن ان يكون قد وقع في الرسالة من تناقض في الرأي او اضطراب كأن يقرر الطالب حكما في الفصل الاول ثم يبدو للقارئ انه ضعفه او ناقضه في فصل آخر.

وكان زميلنا يوسف الصائغ قد سجل رسالته تحت اشرافه، وكانت بعنوان: الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨، ولا امهر من الدكتور الطاهر في حدس ما يناسب تلميذه من موضوع يكون هو رسالته –فكتب يوسف، وكان قد قسم رسالته الى فصول اربعة هي السياب، نازك، البياتي، بلند الحيدري، وقرأ الدكتور الطاهر الفصول الاربعة وهو راض عنها وعن التقسيم حتى اذا بلغ القراءة الثالثة– وكنا نسميها القراءة المرعبة– بدا له ان ما كان راضيا عنه من امر خطة الرسالة لاينبغي ان يكون محل رضى، واذ اقتنع تمام الاقتناع برأيه الجديد فجع به يوسف، فقد استدعاه الدكتور الطاهر ليقول له:

–كتبت رسالتك يا يوسف افقيا، وينبغي ان تعيد كتابتها عموديا، ان تكون اللغة، الصورة، الفكر، وما اشبه.

واستغرقت ملاحظة الدكتور الطاهر، وامتثال يوسف لها سنة كاملة من عمر يوسف، ولكنها لم تكن سنة ضائعة فقد توجت بثناء الدكتور الطاهر على يوسف يوم المناقشة بقوله: (سلمت يداك يادبشليم)، وتوّجت بأن اصبحت رسالته مرجعا لايستغني عنه باحث في الشعر الحر.

وكلفني ذات يوم زميل آخر هو خالد علي مصطفى– وكان يملأ المحافل الادبية يومذاك ضجيجا، ولكنه ضجيج رحى تطحن قرونا– ان افاتح الدكتور الطاهر بقبول الاشراف على رسالته عن الشعر الفلسطيني، واذ فاتحته لم يزد في رأيه على كلمة واحدة:

–لن ازرع في ارض سبخة.

ومن هذه الحوادث انه لم يرض عن رأيين ذهبت اليهما في رسالتي للماجستير، فلم استطع اقناعه بوجهاتهما، ولم يستطع –عليه الرحمة– ان يقنعني بخطلهما، فلم يزد على ان قال:

–طيب، لا تستغرب اذا ناقشتك– يوم المناقشة– في هذين الرأيين رغم انني المشرف.

وفعل ماقال يوم المناقشة، فكان من رأي المرحوم الدكتور باقر عبدالغني– وكان من اعضاء لجنة مناقشة الرسالة– ان الحق مع التلميذ وليس مع الاستاذ فما كان منه الاّ ان تهلل فرحا حتى ترقرق الماء في عينيه، ثم امعن في تواضعه قائلا، انه لاشيء يفرحه بمقدار ما يفرحه ان يكون رأي التلميذ اصوب من رأي استاذه.

ولا اظن الان ان رأيي كان اصوب من رأيه، ولكنه كان يريد ان يعلمني ويعلم الاخرين احترام الرأي الاخر، والاذعان للحق حتى لو كان صادرا من تلميذ، وليس غريبا على مثله هذه التقاليد الديمقراطية.

ولعلي ادرك الان فرحه بطلابه ونحن في مرحلة الليسانس– حين يتناقشون مناقشة هادئة قائمة على الاحترام، وادرك غضبه حين يسيء احدهم في المناقشة الى زميل يخالفه في الرأي، فقد اسأت الادب في احدى المحاضرات الى زميلي الكريم سلام– وكان مغرقا في الحداثة الشكلية– فردّ سلام على اساءتي بابتسامة وديعة، ولكنها مفعمة بالمرارة، فما كان من استاذنا الطاهر الا ان سألني وهو يتوهج غضبا:

–هل تعلمت الان من ابتسامته؟ ان للمناقشة آداب إن لم تلتزم بها، الا فاعتزلها.

وكم حاولت ان اتعلم منه هذا الدرس، فنجحت مرة، واخفقت مرات.

وماذا اتذكر؟ اننا من كثرة ما نتذكر نفقد الذاكرة احيانا!.

كان آية في التواضع وفي نقاء الذمة، ولا اعني بتواضعه انه كان لايعجب بما يكتب، او لايحب ما ألّف، ولكنه كان يمشي على خيط رقيق يفصل بين الغرور والثقة بالنفس، ومازلت اتذكر انه يوم جاء الى الجزائر، كان كتابي، فن التمثيل عند العرب، قد صدر في بغداد، فاصطحب معه نسخا منه اليّ، واذ شكرته واضعا النسخ على طاولة سألني متعجبا:

–لم ارك احتفيت بكتابك، الا تحب ان ترى ما تبحث في كتاب؟

قلت:

احب ذلك كثيرا، ولكني خجلت ان افرح بحضرة استاذي انت والدكتور المخزومي.

كان آية في التواضع وفي نقاء الذمة، ولا اعني بتواضعه انه كان لايعجب بما يكتب، او لايحب ما ألّف، ولكنه كان يمشي على خيط رقيق يفصل بين الغرور والثقة بالنفس.

قال:

–ولم الخجل؟ انني لاكاد انام فرحا عندما يصدر لي كتاب.

ولكن هذا الذي لايكاد ينام فرحا حين يصدر له كتاب، لم اسمعه، ولم يسمعه الناس قال ذات يوم: انه ذهب الى هذا الرأي او ذاك في احد كتبه الكثيرة بل انه حدث ان حقق الدكتور سامي مكي العاني كتاب الباخرزي: (دمية القصر) رسالة نال بها شهادة الدكتوراه تحت اشراف الاستاذ الدكتور شوقي ضيف في القاهرة تحقيقا على الغاية من الرداءة، وكان عليه ان يكتب دراسة في صدر التحقيق عن الباخرزي وعن عصره، فسطا على ما كتب الدكتور الطاهر عن العصر في كتابه الرائع: الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي فسرق منه ما يقرب من تسعين صفحة سرقة لم يكلف نفسه فيها حتى عناء تغيير حروفها، ولابد ان الدكتور الطاهر– وقد طبع كتاب الدمية في النجف وتداوله الناس– كان قد اطلع على السرقة، وتحقق منها– كدأبه في التحقق– ولكن لم يسمع احد منه انه تحدث في امرها، بل انه لم يتحدث حتى بعد ان كتب الدكتور يحيى الجبوري عنها في مجلة (العرب).

اما نقاء ذمة الدكتور الطاهر، فلعله مما لايختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان، فقد بلغ به هذا النقاء ان نصح قراءه من المؤلفين في مقدمة كتابه: الخلاصة في مذاهب الادب الغربي، ان يحيلوا اذا احتاجوا الى شيء منه على اسم الكتاب لا على اسم مؤلفه، لانه ليس لمؤلفه الدكتور الطاهر –كما يقول هو– الا الجمع والاستيعاب والعرض، ومن هنا كان ينكر على المؤلفين العرب والمصريين منهم –بوجه خاص– ان يزعموا انهم يؤلفون في الادب الغربي وهم لايفعلون –لدى الحق– اكثر من ان يترجموا وان ينقلوا.

وقد كان من اليقين بهذه الحقيقة بحيث لم يهتز ولم يدهش يوم كتب الاديب العراقي الاستاذ عبدالمطلب صالح عن الاستاذ الدكتور محمد مندور– وكان الدكتور الطاهر من المعجبين بمندور ناقدا وبصفاء تذوقه الاعمال الادبية– انه ترجم كتابه: (نماذج بشرية) ولم يؤلفه كما زعم على غلافه، اذ لم يزد الدكتور الطاهر– ونحن نتفاوض في الامر– على ان قال:

–وماذا تنتظر ممن يكتب مثل هذا الكتاب؟ لابد له من الترجمة وان زعم انه الّف.

ولعل تواضع الدكتور الطاهر ونقاء ذمته هما اللذان جعلاه يتخذ مواقف يراها الاخرون غير ودية من الادباء الذين لم يكن يرى فيهم هاتين الصفتين كما يريد بالغا ما بلغت شهرتهم، ولعل اجلى مثل على ذلك موقفه من الاستاذ عبدالوهاب البياتي، وقد كتب هذا الموقف، فقد كان لايحتفل به لسببين اولهما: كثرة اعلانه عن نفسه– وهذا يتنافى مع تواضع الدكتور الطاهر– وثانيهما ادعاؤه انه ترجم شيئا من شعر بول ايلوار بالاشتراك مع اديب مصري، فقد كتب الدكتور الطاهر يسأل: كيف تسنى للبياتي– وقد رسب في الفرنسية عند مدام البصير – ان يترجم عنها؟ واثارت كتابة الدكتور الطاهر لغطا بين الادباء العراقيين حتى اتهمته طائفة منهم بالتجني على البياتي.

ولقد ذكرت الاستاذ البياتي دون سواه، وعذرا لابي علي، لادل على المدى الذي بلغه نقاء الذمة من نفس الدكتور الطاهر، والا فانه كان يعلم –عليه رحمة الله– حق العلم انه يعرض نفسه الى عداء مجموعة وزارات اعلام متنقلة تمشي على قدمين، وليس الى اعداء وزارة واحدة!.

ويحز في النفس الان ان رسائل الدكتور الطاهر التي لم تنقطع عني منذ ايلول ١٩٧٨ وحتى حزيران ١٩٩٦ ليست معي، والا لكنت عرضت من خلالها الى جانب آخر من جوانب طهره ونقائه، ويعزيني عن ذلك انني فاعل ذلك يوما ما.

لم تكن وفاة الفقيد خسارة لعائلته: ام رائد، ورائد، ولبيد، واربد، ولاخسارة للادب العراقي، او العربي، وانما هي خسارة لكل هؤلاء وللحركة الوطنية العراقية، وللفكر النيّر، كان الطاهر امة وحده.

مجلة الثقافة الجديدة ١٩٩٧

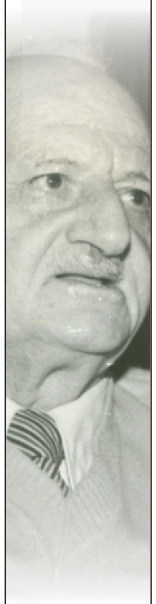

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

لقاء الشهر
آخر عمالقة الأدب

د . علي جواد الطاهر

منهجي أنني ضد المنهج

ماذا يكسبون؟ هؤلاء الذين تذبل اعمارهم في المكتبات والذين تتقوس ظهورهم خلف المكتبات الخشبية الزهيدة الثمن، هؤلاء الذين يفقدون ضوء البصر في متابعة القراءة والكتابة، ماذا يكسبون؟ وهل يفعلون ما يفعلونه طمعا في الكسب او بحثا عن الشهرة او انتظار للعطاء والثناء؟ وهل في الدنيا كسب او ثناء يوازي هذه المتاعب والهموم؟ وهل؟ وهل؟..

حوار: عدنان الصائغ

الى آخر هذه الاسئلة التي يطرحها د. عبدالعزيز المقالح على صفحات جريدة الثورة اليمنية وهو يتحدث عن آخر العمالقة في عصرنا الادبي الحديث، ذلك هو الدكتور علي جواد الطاهر الذي تتلمذ على يديه جيل من الادباء والكتاب ورغم ذلك تجده اكثر تواضعا من اديب نائس.. تربكه كلمات الاطراء، ويخجله اعجابك بعلمه الوفير فيزداد تواضعا وتزداد اعجابا.

والدكتور الطاهر الذي وقف على اعتاب السبعين تراه متوهجا، يعمل بجد ومثابرة يكاد لايفوته كتاب صدر حديثا او مقالة في مجلة في اطراف الغرب والشرق.. معقبا على هذا، ورادا على ذلك، ومصححا لموسوعة ومحققا لكتاب تراثي ساعيا وراء العلم والمعرفة بحماس ابن العشرين، ولاحسد، فهو الذي انفق سنوات عمره الطويلة في البحث والدراسة والتحقيق والتراجم والتعليم والنقد.

مخلفا وراءه رفوفا طويلة من الكتب تعاد طبعاتها باستمرار وهذه الرفوف الطويلة من الكتب هي وحدها التي تجيب على تساؤلات د. المقالح القلقة.. بينما يتكئ الطاهر على اريكته الوحيدة في مكتبته الضخمة مستريحا، مطمئنا الى مسيرته الطويلة الشاقة على طريق الكلمة الشريفة المعبرة، الصادقة، وهو يستذكر مع (حراس الوطن) محطات هذه الرحلة وبداياتها..

هل تريد العودة الى مدارج الطفولة خلال ثلثي قرن.. السؤال سهل ولكن الجواب صعب يزداد صعوبة اذا احسن السائل الظن وطالب بالذكريات الثرية، والمعتاد بالذكريات الثرية العنف والمغامرة والمفاجأة ولايكاد شيء من هذه يذكر في هذه المسيرة التي اتسمت في غالبها بالانسجام والهدوء والنظر الى عنف الاخرين والاعجاب احيانا بعنف الاخرين وتمني ان يكون لصاحب هذه المسيرة شيء منه وقد قال ابن ربيعة –قديما– انما العاجز من لايستبد والا فهي طفولة في بيت منسجم مع نفسه ومع مجتمعه متوسط الامر في احواله كلها، متمتع باحترام الاخرين متجنب لمشكلاتهم.. يقرأ ويكتب،، وفيه عدد قليل من الكتب هي ملك الاخ الاكبر ولهذا الاخ الاكبر هواية المطالعة، وفي المطالعة الجريدة وفي اقصى الهواية:

التاريخ قراءة في مصادره ومناقشة لمراجعه .. وباختصار: احترام الكتب..

تعلم القرآن وشيئا من الكتابة في الكتاب، ودخل للمدرسة الابتدائية في النصف الثاني من السنة الدراسية للصف الثاني،، وجد ونجاح جيد وسلوك مرتضى،، فالمتوسطة فالثانوية، كل ذلك في الحلة والاسرة حلية، عربية.. والطالب يقترب من الاولية حينا ولايبتعد عنها كثيرا دائما.. والف الكتاب واحب المطالعة مبكرا، منذ الصف السادس الابتدائي للبدء، ومنذ الصف الاول المتوسط للاندفاع وقد تأسست في المتوسطة مكتبة كان فيها عضوا فعالا في القراءة والادارة.. وجرب الخطابة.. والكتابة ولقي من مدرس الانشاء، خاصة تقديرا خاصا وللـ(٢٥/٢٥) التي يمنحها اياه الاستاذ احمد توفيق الحلي دلالة ووقع وتأثير ومن مدرسي العربية كلهم كذلك..

ومن المدرسين كلهم في شتى فروع المعرفة وللمدرسة –الاستاذ– محمد احمد المهنا شأن خاص، وربما كان كتاب (خاطر حمار) اول كتاب دله على طرافة عرض المألوف بشكل غير مألوف، وبلغ بالطرافة مبلغ الفن سماعه صفحات من (رفائيل) وصفحات من (الايام) وسنة في التعليم الابتدائي زادت من الافق الجغرافي وقربته من حياة الريف واربع سنوات في دار المعلمين العالية، الاوقاف مكتبة الحلة العامة.. كان من الادباء الذين اعجب بهم وقرأ لهم منذ دراسته الثانوية (بل المتوسطة) سلامة موسى، طه حسين، الزيات.. ووسعت مجلة (الرسالة) الدائرة ووطدت من شأن المازني وزكي مبارك دون ان يجد طريقا من الالفة الى العقاد.. كان ذلك.. وجاء اساتذة اجلاء، البصير، طه الراوي، مصطفى جواد.. وكان اكتشاف كتاب طه احمد ابراهيم (تاريخ النقد الادبي عند العرب) فيما كان.

وسنة ونصف السنة في التعليم الثانوي (متوسطة الحلة) مع المحاضرة في متوسطة البنات ثم ثانويتها.. زادت من التجربة التعليمية خصوصا.. وارخت بدء النشر في الصحافة واومأت الى ماسيكون من شأن من فن المقالة..

وسنة ونصف السنة في قسم اللغة العربية في كلية الاداب في جامعة الملك فؤاد (القاهرة) لم تزده كثيرا.. وقد رحل عنها الاساتذة الكبار، واذا كان (الشيخ الخولي) يجهد لاثارة فكر الطالب،

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

أنا مع الإنسان بناءً وخلقاً ودعوةً وتألماً

النص البليغ أبعد غوراً من المناهج كلها

مطلوب نظرية نقدية عربية تكون بنت العصر

أين يضعونني لو جدّت في العالم مناهج جديدة؟

فانه كان يجهد فقط.. ومن هنا ردد مع المتنبي:

اتى الزمان بنوه في شبيبته
فسرهم وأتيناه على الهرم

ونحو من خمس سنوات ونصف السنة في كلية الاداب من السوربون من جامعة باريس.. حصل بعدها على الدكتوراه وكان فرحه وارتياحه لما الم من الادب الفرنسي ولما تابع من الحياة الادبية اضعاف ماكان من شهادة الدكتوراه نفسها.. انك في باريس تحس مكان الادب من الحياة، ومكان النقد من الادب.. ولاتسل عن الكتاب والجديد من الكتاب.. والمكتبات.. وعرض الكتب والمعارض والمسارح..

لقد كان للحلة اثرها الادبي الذي لاشك فيه ـــ(تاريخ الولادة رسميا سنة ١٩٢٢، وتحقيقا سنة ١٩١٩) وكذلك اثر بغداد (١٩٤١ – ١٩٤٥) ولانبالغ في بخس القاهرة حقها.. ولكن ذلك كله ماكان ليكون مهما لولا باريس.

ويعود عام ١٩٥٤ ليبدأ حلقة جديدة من الحياة في التدريس الجامعي ببغداد (دار المعلمين العالية، كلية الاداب) وبالرياض (كلية الاداب) ثم بغداد (كلية الاداب) متدرجا في الترقية العلمية من مدرس الى استاذ مساعد الى استاذ مشارك الى استاذ فالاحالة على التقاعد عام ١٩٨١ وسره في حياته تلك ما نفح من اجواء الفكر وشجع من ابداع واكثر ماكان يسوؤه تضاؤل النابغين من الطلبة، وتضاؤل الجادين في الادب كذلك..

ولم تحل (مشاغل) التعليم دون التأليف.. وتطول القائمة لو ذكرها وتتسع على مدى البحث والنقد والتحقيق والترجمة ومنهج البحث ونقد التأليف..

ولم يحل التعليم والتأليف الاسهام في الصحافة داخل العراق وخارجه وله (فخر) خاص فيما عمله للنهوض بمجلة (المعلم الجديد) وفخر. فيما عمله لخدمة اتحاد الادباء العراقيين.. ويأتي بعد هذا –وقبله– من اولية عملية النقد الادبي.. ومواصلته كتابة المقالة الصحفية وخروجه بها من الاخبار التعليمي الى درجات من الطراوة التي تجتذب القارئ لادائها وادارتها ويسره ان تصنف مقالته تلك مع الفنون الانشائية وان يشهد لها القارئ – والناقد– بمسحة من الشاعرية وسمة من الابداع.

×بعد هذه الاستفاضة الرائعة (لاحظ انه يتحدث عن نفسه بصيغة الغائب المفرد، مضفيا على حديثه سحرا خاصا عرف به) اقول بعد هذا الحديث الشائق الذي اختصر مراحل حياته.. ترى كيف ينظر الان د. الطاهر الى مؤلفاته.. وهل هو راض عما حققه؟ او اضافة الى المكتبة الانسانية؟.

ونرى رأي (المسؤول) في مؤلفاته.. انه ينظر اليها على انها ضروب من اداء واجب في ايصال مادة معرفية وفي تصحيح اخطاء وفي ارساء منهج ويتحد الواجب والموسوعية في هذا التعدد من الميادين.. ولايبعد ان تعد المقالة الانشائية المبتعدة عن المصادر والحواشي والاسانيد المنطلقة من الذات والانفعال –احيانا.. لايبعد ان تعد ضربا من ردود الفعل للتزامن المنهجي ويتحد حب الشاعرية والطموح الى الابداع مع ردود الفعل هذه واهلا وسهلا. بما كان مادة وبما كان انشاء.. وان كنت قد اخبرتك بحبي لما وراء الافق الادبي، مسبوقا بمقالات في (مقالات) متبوعا بـ(اساتذتي ومقالات اخرى)..

واخبرك.. بما يصل الى سمعي وعلمي من تقدير لهذه المؤلفات ولما هو في طريقه الى ان يكون مؤلفات.. واخبرك اكثر من ذلك اني احترم كثيرا رأي من رأى اني لم اؤد المطلوب مني، ولم احقق الذي استطيع تحقيقه.. ففي ذلك كثير من الصحة، واذا كان عذري عذر الكثيرين – الظروف.. وقلق الحياة وتشعب الاهتمام و(انشطار الغابة) فذلك عذر فقط وتبقى النفس شاعرة بالتقصير متمنية ولات حين–لو استأنفت المسيرة اتراها لو استأنف تسلك غير الطريق الذي سلكته؟..

وتبقى امنية عزيزة عليّ هي ان امضي فصلا من عام في باريس استأنف به ما انقطع من علم واستكمل مابي حاجة اليه لدى اعداد كتاب (مقدمة في النقد الادبي) الى طبعة ارتضيها ولو بعض الرضا..

×كثرت في الفترة الاخيرة المدارس النقدية والاتجاهات والتيارات الادبية التي تعصف بنا من الغربي.. كالحداثة والالسنية والبنيوية والخطاب والشعرية.. الخ.. ترى كيف ينظر اليها الدكتور الطاهر؟.

نقترب من سؤال كثرة المدارس النقدية والتيارات الادبية التي تعصف بنا من الغرب.. كالحداثة والالسنية والبنيوية والخطاب والشعرية.. الخ.. واحسبني قلت فيها عموما رأيي وعلى وجه تقتضيه الحال من الانفعال في مقالة عن (البنيوية..) وعلى وجه اقل انفعالا في مقالة نقد النقد.. وكان الانفعال ضروريا ليلفت النظر ويوقظ السادر.. فهو واجب ومعتقد وليس انفعالا بالمعنى السالب الذي يحمله اللفظ احيانا ويسرني ما احدث المقالان من جدوى..

لقد قرأت عما عصف بنا غير قليل فادركت السوء فيما يمكن ان يؤدي اليه، وكان اقل السوء افساد الذوق والفكر، والعبث بالمصطلح واشاعة الفوضى.. غيرما يمكن ان يكون وراء الاكمة من السوء للامة خاصة وللانسان عامة.. مما وراءها!! مايمكن ان يكون او ما كان فعلا!!

لقد قرأت وكتبت،، وبقي ان اقرأ اكثر.. واكتب اكثر.. واصل الحاصل الى المقدمة.. ليصل الى القارئ والدارس ولنعتدل في مواجهة القادم من الغرب ونقف على اقدام ثابتة لايضيع فيها وجودنا.. وتعجب انت لانسياق من يعدون انفسهم –منا– مثقفين وعلماء ونقادا وراء كل ناعق متبجحين بعلم غيرهم،، متعالين بما تعالى به الاخرون، هم ضعاف الشخصية ويريدون ان يظهروا بمظهر القوي الشخصية والعجيب انهم يوهمون امثالهم بما يمثلون من ادوار..

تعجب واعجب ومن العوامل الاخرى في مطلع القرن العشرين فهم درس لنا في خطوة التأصيل ودرس في الاخذ من الجديد والاستخلاص من القديم ولو سرنا متممين في الطريق الذي سار فيه طه حسين والعقاد والمازني.. ومندور لكنا خيرا ما نحن عليه اقول (لو).. وهي (لو) فقط.. لان عوامل لتخريب اقوى منا واحرص على واجبها منا كذلك! ولا اريد ان اطلق سوء الظن بالذين لبسوا مسوح غيرهم وجاروا على مايمكن ان يكون لهم من شخصية.. ولكني ارى من حقي – او من واجبي– ان اعاتبهم على ما اضاعوا عليهم وعلينا من فرص.. وقد عاتبتهم فعلا حين رأيت فيهم مجالا للعتاب.

ان العالم الادبي عالم واسع جدا سعة العالم الطبيعي ولهذا استحال ويستحيل ان تحصره في زاوية، اية زاوية كانت لانك تخسر –بذلك– العلم والفكر والذوق والاصالة،، وماكان الذين حصروا انفسهم في زاوية مختارين او مجبرين او مفتعلين..

نقادا كبارا او نقادا بالمعنى الصحيح، وغاية مابلغ اعمقهم ان عد مقلدا لنقد ضيق تحصره كلمة واحدة هي التاريخية او النفسانية او الشكلانية او.. او..

ومعلوم (بديهي) ان النص المبدع هو هذه الكلمات التي تدعى احيانا مناهج كلها وكلمات اخرى عرفها الانسان مناهج او سيعرفها او سيظل جاهلا بها.. واذا نسبت ناقدا الى منهج غير الذي انبثق من نفسه وتجربته وصدقه وذوقه وسعة افقه، فقد قتلته او حجمته في اقل ما يقال، واذا افترضنا القبول بمبتكر المنهج التاريخي ناقدا تاريخيا فماذا نفترض بالتابع الذي ينضوي تحت لوائه؟ وقل مثل ذلك فيما تفترض بمبتكر المنهج البنيوي.. وما ولايعصب استدراك ذلك في طبعة ثانية..

اما المنهج الذي ارتضيته ومازلت راضيا عنه في بابه فهو اولا الابتعاد عن اي منهج سابق بما في ذلك (السياسي) الذي كان سائدا لدى كتابة القصص وكتابة النقود لاني حين انظر الى الاثر الادبي لاصقا تمام اللصوق بزمنه اقتله، ولان المفروض بانلص المبدع ان يكون ابن زمانه وابن ازمان لاحقة، ولو لم ار في القصص التي ازائي مادة للبقاء لما بذلت الجهد في خدمتها.. وماكان الانتصار لعراقيتها.. او الشعور بأن القصص العراقي لم يلق حقه من الذيوع.. بكاف للانطلاق..

قرأت.. فاعجبت.. فكررت القراءة وقلم الرصاص بيميني يزرع على هوامش الصفحات تعليقات واشارات وخطوطا.. وطبيعي ان يتأكد في المجموعة من المجموعات وتر سائد يضرب عليه صاحبه فيجيد الضرب.. وطبيعي كذلك ان تبرز في المجموعة قصة تبلغ من الناقد اعلى درجات القبول، وقصة اخرى – او القصة الاولى نفسها– تبلغ من المنشئ اعلى درجات الخلق..

وتعترض القارئ– الناقد مشكلات، وتنهض لديه اسئلة وتخامره شكوك.. ولابأس ، وخير من البت القاطع عن جهل محاورة القاص نفسه ومساءلته، وهذا ماحدث في غالب ماكتبت واراه ضروريا لدى اي نقد في حالة الامكان.. ولاتعني المحاورة الخضوع للمنشئ وانما هي استنارة وتثبت.. وموضوعية وعلم..

تتضح الامور وتختمر الحال.. ويبدأ القلم في هذه المرة يكتب ولابأس بمقدمة منبثقة من صميم الموضوع السائد وبايماءة توضيحية سمها خلاصة للقصص لدى الوقوف عندها وقفات متتالية تقرب قارئ النقد من القاص والناقد، انك تكتب لقارئ قرأ المجموعة وتكتب لقارئ لم يقرأها فهو يقرؤك ويقرأ المجموعة بعد.. وانت في الحالين دليل وحكم وتحت المحاكمة.. ومن واجبك ان تكسب الثقة بجدارة والفة..

وتطول الوقفة ويزداد التأكيد لدى معالجة القصة التي رأيتها الابلغ بنظرك، او رأيتها الابلغ في فن القاص نفسه وخاتمة مناسبة.. ولايمر نقد بدون تنبه الى اللغة..

سألني مرة صحفي بارز عن منهجي في نقد القصص فذكرت له هذه الخطوات وتركني اشرح واسير حتى اذا انتهيت قال: ولكني سألتك عن المنهج.. فقلت، وقد ادركت غرضه او خضوعه للشائع من امر الخضوع للمنهج هذا هو منهجي.. ويبقى انه ليس من المعقول ولا من الذوق ولا من النقد ان اواجه اصحاب المجموعات – على اختلافهم وعلى افتراض تقاربهم – بمنهج سابق واحد وهو عادة لغيري.. فهو منهج صاحبه وليس منهجي، ومن ثم اتبجح بان منهجي تاريخ او فلسفي او نفسي او اجتماعي ان لكل نصب ادبي غوره.. ولابأس في ان ينتفع الناقد باشياء من هذا المنهج او ذاك ويستعين على الفهم حين تغلب على هذا النص صفة تتصل بهذا المنهج او ذاك، ولكن النص البليغ يبقى ابعد غورا من المناهج كلها والناقد الذي يستطيع – او يحاول– ان يبلغ غورا ابعد مما بلغته المناهج السابقة المعدة.. التي اعتورها نقص هنا او هناك..

قال احد الكتاب عني (اني انطباعي).. وقال هو نفسه في وقت آخر: اني من الواقعية الاشتراكية.. وماكان او يكون مصيبا في الحالين، ويرجع الخطأ– اذا تركنا سوء النية او الجهل– الى هم القائل في التصنيف وكأن لابد ولامناص من حشر الناقد في منهج من المناهج التي يعرفها ذلك القائل، ترى اين سيضعني لو جدّت في العالم مناهج جديدة، وشاء له علمه – او جهله– ان يحشر الناس قسرا في زاوية ضيقة..

وسئل آخر عني فقال: ليس له منهج، يقصد الى الخط قليلا– او كثيرا، ويقصد بالمنهج ما ساد بين الناس على انه منهج كالسياسي والاجتماعي والفلسفي.. وكان الناقد لابد من ان ينضوي تحت راية من هذه الرايات التي ليست له.

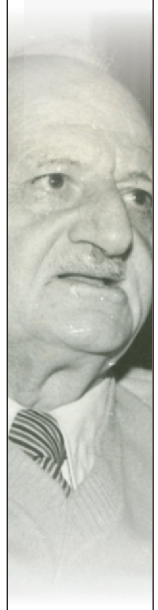

الحوار من ارشيف الشاعر عدنان الصائغ وقد نشر عام ١٩٨٨ في مجلة حراس الوطن

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

ما أحوجنا إلى منحى الطاهر في الكتابة!

اشعر بأنني اضعف الحلقات في هذه الندوة، لاني لم اكن تلميذا للطاهر، ولم انعم بمحاضراته في كلية الاداب كما لم اكن صديقا مقربا، جمعتنا بعض اللقاءات في اواخر الستينيات عندما كنت في اول الشباب واوائل السبعينيات، ولم تكن مساهمتي هذه الا استجابة لطلب (الكوفة) مقترحا الحديث عن اخر ماوصل الي من كتابات الطاهر، وهو كتاب جمع فيه ماتبقى من مقالات لم تنشر للشاعر حسين مردان، ولقد اطلعت على هذا الكتاب حيث كتب الطاهر له مقدمتين مطولتين لقسمي الكتاب المقدمة الاولى حول المقالة الادبية لحسين مردان، والقسم الثاني حول النثر المركز الذي خلفه الشارع بعد وفاته، وبضع قصائد، وهو يميز بين قصيدة الشعر الحر والنثر المركز الذي يسمى اليوم قصيدة النثر.

فوزي كريم

ما يلفت الانتباه في دراسة الطاهر عن حسين مردان هو طابع فن المقالة الادبية في هذا النص النقدي، وقد استغربت حينها ان يقبل استاذ جامعي مختص في موضوعة المنهج النقدي والمذاهب النقدية ليكتب دراسة عن شاعر متميز كحسين مردان، فلا يجد وسيلة للتعامل مع هذا الشاعر ونصوصه الا عبر المقالة الادبية.

واشارة الدكتور اطيمش والدكتور صلاح نيازي حول الطبيعة التأثرية او الطبيعة التذوقية للنص لعلي جواد الطاهر، صحيحة تماما، وانني اميل الى هذا الاسلوب في الموقف النقدي، لا في المرحلة السابقة في الستينيات او الخمسينيات فحسب انما حتى في هذه المرحلة.

الحقيقة لقد اكتشفنا جميعا ان اطلاعنا على المذاهب النقدية الغربية لم يكن صائبا دائما، كان يحول بيننا وبين هذه المذاهب والتيارات النقدية واقع متخلف، لايحتمل هذه الطاقة الذهنية الكبيرة والعقلانية المذهلة التي توفرت للغرب، ولذلك فمنهج الطاهر ومنهج اساتذة اخرين يشبهون الاسلوب الذي يكتب فيه الطاهر، اجدها اقرب الى تنمية الذائقة الادبية لدينا، فانا اذكر على سبيل المثال في ندوة جمعتني مع الاستاذ الطاهر في اذاعة بغداد، كنت صغيرا انذاك، حول موضوعة القصة القصيرة، وفي الحديث وضع الاستاذ الطاهر مجموعة مواصفات للكاتب الناشط في الستينيات، وكان محور الحديث حول القصص الستينية، ومن جملة هذه المواصفات التي كان ينصح بها الكاتب الجديد هو ان يكثر من الاسفار، ان يتقن لغة ثانية، ان يحسن وقت القراءة.. الخ.

طبعا انا وقفت موقف متشدد من هذه الشروط لانها لم تملأ حاجتي المتوهمة للتيارات النقدية المكابرة التي كنا حينذاك ننهل منها دون استيعاب حقيقي وكنت احاجج الطاهر، وبعد فترة اكتشفت ان حكمة الطاهر في حديثه هي وليدة معرفة، وحماقتي وليدة جهالة، ولقد الف جيلي الكثير من الحماقات في هذا التشدد والتشبث بالتيارات النقدية المعاصرة وتبين لنا جميعا بعد عقدين من الزمان اننا لم نكن نفهم منها شيئا، لا لاننا لا نستطيع ان ندرك هذه التيارات على حقيقتها فقط، ولكن لان مرحلتنا ذاتها لم تكن تحتمل وطأة التيارات النقدية التي لم تكن وليدة عبقريات فردية، انما كانت وليدة قاعدة كبرى تسمى في مجملها حضارة.

والشيء المثير في كتابات الطاهر هو هذا الطابع الانطباعي هذا الطابع التأثري، او التذوقي،، مازلت اذكر في مجلة المعلم الجديد، التي كنت اشتريها ستوكات مستعملة، انني كنت اتابع كتابته فيها بمتعة فائقة، بفعل هذا الروح الانطباعي داخل النص، ومازلت اذكر واحدة من خصائص كتابته كان لايلحق الهامش بالمتن انما كان يشرك الهامش مع المتن، فانت تقرأ ذات الطريقة في كتابته عن حسين مردان ويكتب في المتن وتظن ان يترك الهوامش على طريقة الجامعيين ولكنك تكتشف ان الهامش هو تكملة حتى في صياغة الجملة الى المتن.

هذه اعراض وضعها الطاهر عبر كتاباته التي تبدو لي اقرب الى الكتابة الصحفية.

واعود فأقول وما احوجنا الى هذا

الشيء المثير في كتابات الطاهر هو هذا الطابع الانطباعي هذا الطابع التأثري، او التذوقي،، مازلت اذكر في مجلة المعلم الجديد، التي كنت اشتريها (ستوكات) مستعملة، انني كنت اتابع كتابته فيها بمتعة فائقة، بفعل هذا الروح الانطباعي داخل النص، ومازلت اذكر واحدة من خصائص كتابته كان لايلحق الهامش بالمتن انما كان يشرك الهامش مع المتن

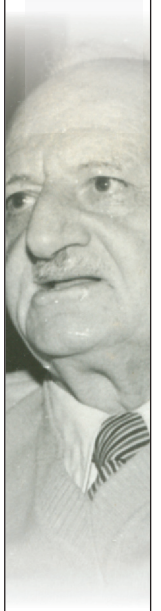

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

المنحى في الكتابة التي توحد او تقارب بين المنهج العلمي وبين المادة الصحفية لاننا احوج ما نكون الى التقرب خاصة من شخص مثل الطاهر لم يكن مختبئا وراء حرم الجامعة واعرافها، انما كان اديبا مساهما في الحياة الثقافية بصورة عامة.

في موضوعة حسين مردان، تبادر الى ذهني سؤال لم اجد صعوبة في الاجابة عليه، وهو لم اختار الطاهر الجامعي المنهجي شخصا مثل حسين مردان الشاعر المتمرد الذي لايمسك بخيط؟.

عبر قراءات الطاهر القديمة وعبر قراءة دراسته عن حسين مردان، واختياره لمنحى المقالة الادبية في هذه الدراسة عبر كل هذا تكتشف ان الطاهر يملك ذات الخصائص التي يملكها حسين مردان تكتشف معنى ان يكثر الانسان من الاسفار، لكي يحكم كتابة قصته انما هي صدى هذا الميل الروحي الداخلي الى الخروج الى قاعدة الاستاذ الجامعي وقاعدة الاديب المحكم داخل لغة محددة واشارته الكثيرة الى وحدة التجربة الروحية مع التجربة الفنية، وجدها في شخص حسين مردان، فاثار لديه هذا الحماس من جديد لمواصلة فكرة ان يكتب الانسان ما يشعر به ان لايبعد الكلمة عن الحياة.

كنت اود ان اجد فرصة في هذا الحوار لقراءة شيء من نصوص علي جواد الطاهر في متابعته لمفهوم المقالة الادبية، وهو احد المتحمسين لها كما اشار الدكتور صلاح لان موضوعة المقالة الادبية تحتاج في ذاتها الى حوار طويل، لانها واحدة من ضروب الابداع التي اختفت كليا من حياتنا الثقافية كانت عنصرا اساسا في حيوية الثقافة العربية في عصر نهضتها الاولى متمثلة بعظام الكتاب الذين نعرفهم في مصر خاصة، ولكنها اطفئت مع الحركة الجديدة مع التيار الجديد الذي بدأ مع جيل رواد القصيدة الحديثة، وجيل الستينيات بشكل خاص والان اطلفئت نهائيا مع انها كانت مصباحا متألقا في ثقافتنا الادبية ومازالت في كل ثقافات العالم، وخاصة في الادب الانكليزي كما نعرف، فعلى جواد الطاهر بحكم انتسابه الى هذه الموجات القديمة، يشعر بعمق بقيمة المقالة الادبية، وطبعا لا احتاج الى تعريف لهذا الضرب من الكتابة، فنحن نعرف كتابات ابراهيم المازني كتابات جبران وكتابات الرافعي وكتابات اجيال رائدة في الكتابة العراقية، الى مرحلة جواد الطاهر ونجيب المانع وبعض الكتاب القلائل جدا ممن احسنوا كتابة هذا الفن.

للاسف من النتائج السلبية الكبيرة لغياب المقالة الادبية هذه النزعة غير الطبيعية والهجينة التي تندفع بها الاجيال المتأخرة كجيل الستينيات ومن تلاهم في التشبث بموضوعة قصيدة النثر او موضوعة النثر الذي لم يكن يوما ادنى من مادة الشعر، ان لم يكن يتساوى مع مادة الشعر مع ان النثر والشعر عالمان مختلفان تماما الا انه بفعل غياب المقالة الادبية التي كانت تنطوي على جوهر مقارب للمادة الشعرية ذهب عدد كثير من الشبان يبحثون عن بدائل لهذا الجوهر في المقالة الادبية فوجدوا هذا البديل في النص الذي سموه قصيدة النثر.

في واحدة من اشارات الطاهر حول حسين مردان، اقرأ هذا النص لتبيان الطبيعة الغنائية في نثره، وهو يتابع فكرة المقالة الادبية، وحسين مردان في ذاته كانسان وكاتب، لو كان حسين مردان من قراء الرسالة وهي مجلة مصرية معروفة في الثلاثينيات لرأى في المقالات ضربا يختلف عن الذي رآه وحدد تعريفه له وجعله طرفا مناقضا للشعر وكان المفهوم الصحيح مرة اخرى والذي رسم للشعر الحديث لايمكن ان يدخل المقالة، او ان يدخل شيئا منه على الاقل في ضرب من ضروب المقالة فالرجل يتكلم بما عنده فما هو ناقد ممتهن او مدرس لتاريخ الادب، ثم انها كلمة قالها ومضى يتابع شؤون الحياة والسياسة، خلال منظار الشاعر الذي يبقى مهما تختلف الاحوال عليه، معتزا بنفسه لدرجة تحسبها ادعاء وغرورا ووهما ولو انها حقيقة قائمة لديه، حرسته من كثير من الدناءة فلم ينزلق في منافقة او عمالة، وهو البوهيمي، الفقير المشرد، ولم يقع في مغريات اخرى تجر صاحبها الى مزالق اخرى، وكان مثله ممكن ان يكون لقمة سائغة من اجل لقمة غير سائغة، ولكن وهذا هو المهم، هو عند نفسه اكبر مما عند الطامعين فيه، ولابد ان تحول نفسه دون الدون الذي وقع فيه غيره ممن يرون انفسهم اعلى واأفهم واشعر واكبر منه.

هذا السياق على امتداد صفحات طويلة تتداخل لهجته مع لهجة حسين مردان في مقاطع من مقالاته تكتشف عن طبيعة المقالة الادبية لعلي جواد الطاهر، مع انه يهدف كتابة دراسة عن الرجل ولكنه اميل في الواقع الى نص المقالة الادبية.

ليس لدي المزيد، الحقيقة كان لدي بعض النصوص يمكن قراءتها، ولكن الفرصة متاحة للجميع للاطلاع عليها في كتاب (من يفرك الصدأ) ولكن اعتقد ان علي جواد الطاهر في منهجه التأثري او التذوقي او الانطباعي، او الغنائي كان اجدى وانفع من الكثير مما كتبه بعض النقاد الذين انتموا الى تيارات نقدية، تبدو للوهلة الاولى محكمة البناء، ولكنها تخفي فراغا كبيرا كما انه كان احد دعاة المقالة الادبية، التي انطفأت هي الاخرى دون بدائل، وكتابته تترك اعرافا كثيرة في المتابعة التذوقية.

كلمة القيت في الحفل التأبيني الذي اقيم للراحل في لندن عام ١٩٩٦

علي جواد الطاهر وتجربته في النقد المسرحي

محمد حسين حبيب

بدأ اهتمام المرحوم الدكتور (علي جواد الطاهر) بالمسرح عامة ، وبالنقد المسرحي خاصة ، بعد اقامته في باريس للسنوات ١٩٤٨-١٩٥٤ . وكانت مقالته (أنا ناقد مسرحي) التي نشرها في آذار ١٩٥٨ في مجلة
(المعلم الجديد)

تؤسس لذلك الاهتمام ، حيث نلمس تيقن الطاهر ما للمسرح من أهمية بالغة في الكشف عن حضارة الأمة .. فهو يقول : « إن امة لاتنظر الى المستقبل هي امة مشلولة ، والمسرح هو جزء من حركة الأمة ومسارها الخلاق .. « على وفق هذا المفهوم المتحضر ، والمثقف ، نظر الطاهر لفن المسرح وتفاعل معه مشاهدا ومتابعا وموجها حقيقيا في كتاباته (أحاديثه) المسرحية كلها.

فالمسرح إذا كان من بين اهتمامات الطاهر الموسوعية ، حيث كتب عنه أكثر من ثلاثين مقالة أدبية ، نذكر منها كتاباته النقدية عن العروض المسرحية العراقية للمسرحيات : البيت الجديد / الغريب / السؤال / كلكامش / بيت الحيوانات / غاليلو / الرجل الذي رأى الموت / رقصة الأقنعة / كوريو لان / كشخة ونفخة / برج الحمام / الرهن / الإنسان الطيب / خيط البريسم / ترنيمة الكرسي الهزاز / الباب / بير وشناشيل / لو / الأشواك.

إننا نشهد ما للنقد والناقد المسرحي وما يتمتعان به من أصول علمية موضوعية منهجية يعمل وفقها المتخصصون والدارسون . في الوقت نفسه نشهد للطاهر عدم تخصصه في هذا المجال كونه ليس من أهل المسرح ، أو من الخبراء فيه إلا انه كان متذوقا كبيرا يثني على ما يعجبه ويعيب ما يضجره ، ويقولها دائما : (على مسؤوليتي ..) هذه العبارة يكررها في اغلب كتاباته عن العروض المسرحية التي شاهدها وكتب عنها ، بأسلوبه العذب ، ولغته الحسنة ، بحلاوتها السلسة الدفاقة ، يجتذب القارىء حقا ، إذ يهيم معها شاء أم أبى . إن المتتبع لكتابات الطاهر تلك ، سيتلمس أمورا عدة ، منها : إن الطاهر يهتم بأمور خارجة عن العرض المسرحي المنقود ، فنجد مثلا الوصف الدقيق لمواقف مرت به قبل الدخول في قاعة العرض ، ينظر الى شباك التذاكر ، وإقبال الجمهور ، كما نجد المقترحات والتوجيهات الوعظية منها والتربوية البعيدة برأينا عن مهمات النقد والناقد المسرحي الأساسية . كذلك نجد عدم التدقيق في الأسلوب أو الطريقة الإخراجية للعرض ، حتى وان كان ذلك الإخراج (مبتكرا) باعتراف الطاهر نفسه .

فهو يقول مثلا في كتابته عن مسرحية (لو) التي أخرجها (عزيز خيون) :» إخراجه كان مبتكرا... وان لهذه المسرحية إخراجا واحدا هو هذا الذي قدمها به عزيز خيون ، ويصعب أن تراها على غيره حتى لو عرضت بعشرة وجوه وأكثر من عشرة وجوه .. « . إن الطاهر هنا لم يذكر طبيعة الإخراج المبتكر ذاك ، أو ذلك الإخراج الواحد ، كيف هو ؟ على وفق أي مذهب أو أسلوب ؟ تجريبيا كان أم واقعيا أم تعبيريا .... ؟ ويتكرر الحال نفسه في كتابته عن مسرحية (الباب) التي أخرجها (قاسم محمد) . بل انه يتجاوز الإخراج هنا ويبقى فرحا في النص وفرحا بالتمثيل .

أما عن التمثيل ودور الممثل في العرض فلا نجد غير كلمات المديح والثناء ، البعيدة عن أصول وتقنيات آلية اشتغال الممثل وعمله ، فالطاهر يكرر في اغلب كتاباته تلك عبارة (جوّد الممثلون ..) أما كيف جود ؟ ولماذا لم يجود غيرهم ؟ فهذا ما لم يتعرض إليه الطاهر فبقيت عبارته تلك ، كلمات تفتقد الى مبرراتها ، ذلك أن الطاهر ليس من المختصين والدارسين لفن المسرح – كما نوهنا – والأمر هنا يقودنا الى (انطباعية) الطاهر النقدية المعروفة .

العنوان لدى الطاهر يكاد يتشابه ويتكرر ، وهو اقرب للإعلان عن المسرحية لا عنوانا نقديا ، ونذكر أمثلته : (بير وشناشيل مسرحية راقية) (الغريب مسرحية راقية) (لو .. مسرحية عراقية تهز الركود وتفضح الهبوط .. وترجح لدى الاختيار) (الأشواك .. مسرحية عراقية ناجحة في ذاتها مستثيرة أشجانا من خارجها) و (خيط البريسم أو فرقة المسرح الفني الحديث ما زالت بخير).

كذلك نشعر حين نقرأ تلك الكتابات ومحتواها ، إننا إزاء قراءة قصة مثلا ، فيها الوصف والموضوعة المستندة الى اشتغال مقال أدبي صرف .

أما عن مكملات العرض المسرحي الأخرى ، كالديكور والإضاءة والأزياء والمؤثرات الصوتية ، فهذا ما لم يتطرق له الطاهر إلا بذكر عابر يسير قد تفرضه عليه الصياغة المقالية لإكمال معنى ما . كذلك ابتعاده عن استخدام (المصطلح المسرحي) كأداة نقدية رئيسية يستند إليها الناقد المسرحي ، على الرغم من تأكيد الطاهر نفسه الاهتمام بالمصطلحات وبأنها غير الكلمات – على حد قوله – . ومن المهم الاشارة هنا الى آراء الطاهر عن ظاهرة المسرح التجاري التي شاعت في حينها كتسمية لعروض أستهلاكية هابطة ، فهو يقول مثلا : « .. الأسوأ ما يضحك أكثر من دون سبب ، ليربح أكثر من دون حق.. ».

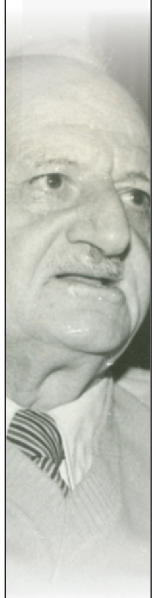

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

تجربة علي جواد الطاهر في الجامعة ..

غربة المثال وبؤس الواقع

قد تختلف الآراء في تقييم تجربة الطاهر النقدية، وفي تقييم تجربته المقالية (النقدية والإنشائية) ولكن ثمة إجماعا كاملا على غنى تجربته الأكاديمية: تدريسا وتأليفا وتأثيرا، وبالمستويين الأفقي والعمودي: الأفقي: بامتدادها الزمني العريض لما يقرب من نصف قرن (من عودته عام (١٩٥٤م) إلى ما قبل وفاته عام ١٩٩٦م) والعمودي: بفاعلية دوره فيها، ويصفه بعضهم بأنه «ثورة في التعليم إبّان الخمسينيات»، بينما لا يراه صاحبه –تواضعا– أكثر من إصلاح – في أحسن الأحوال-: «مضى في ذلك طبيعيا بسيطا ولكنّ غرابة الحال عمّا يحيطها أظهرته وكأنّه مصلح أو ثائر»،

د. نادية غازي العزاوي

وما بين (الثورة) و(الإصلاح) كان الطاهر مؤمناً إيماناً راسخاً بخطورة دور الجامعة في النهوض والتأسيس والبناء والتحديث،كما هو ملموس في الدول الكبرى،فاعتصرته الموازنات المريرة بين وضع الجامعة في فرنسا – مثلا – ووضع نظيرتها في العراق، وبخاصة العطب الذي طال مقوماتها الأساسية:

المناهج

الأستاذ والطرائق التعليمية

الطالب

كان ينظر- بإكبار- إلى الأستاذ شخصا وأداءً لأنه محور العملية التعليمية وقلبها النابض، وقد تضافرت ثلاثة عوامل في الأقل على بلورة هذا المنظور وترسيخه لديه:

١- الرؤية المثالية للمعلم، المعلم – الرسول المنذور لمهمّته بكل ما تنطوي عليه شخصية الرسول في النزاهة والترفع والإخلاص المبدئي والكامل للرسالة والسعي التام لنشرها وتطبيقها.

يقول الطاهر: فليس «كل من جلس على كرسي التدريس.. أستاذاً، الأستاذعلم وأدب وسلوك وشخصية» وهو «وحدة متماسكة لا تتجزأ ولا تتناقض»، وأستاذ «في المصطلح هو الذي يعلمك العلم، ولكنه فيما هو أحسنُ من المصطلح الذي لا يعلمك العلم وحده فيبقى-حينئذ- ماثلا في نفسك خلال تصرفك وخلال تعليمك ومن ثم ينتقل خالداً في الأجيال قولاً وعلماً».

٢- نفرٌ من الأساتذة الأجلاّء والأعلام تتلمذ عليهم في دار المعلمين العالية والسوربون أكدوا لديه هذه القناعة.

٣- استلهام معايير تجربته الشخصية في التحصيل والتدريس بالمثابرة والدأب والإنصراف الكليّ للهمّ العلميّ والعزوف عن كلّ ما يمكن أن يخدش حضور الأستاذ وهيبته.

يقول إسماعيل الشيخلي عنه عام ١٩٨٥م «تعود معرفتي بالصديق الدكتور علي جواد الطاهر إلى عام ١٩٤٨عندما كُنّا ندرس معاً في باريس، كان.. يعتكف بعيدا عن لذائذ باريس.. في غرفة تقع خلف السوربون ولا يغادر إلاّ لحاجات ضرورية جداً، كنا نحلم أن نراه في إحدى ساحات الحي اللاتينيّ أو مقاهيه، لهذا كنّا نزوره أسبوعيّاً في غرفته وهو منكبّ على المطالعة ودراسة الكتب، ولا اعتقد إن أيّاً منّا.. ينسى هذا الرجل الذي استهوانا جميعا بجديّته وكرمه ورقّته وعلو خلُقه.. بعيد كل البعد عن صغائر الأمور.. كان كبيراً منذ ذلك الوقت، وهذا الانطباع الذي يعود إلى (٣٧) عاماً ما زال يترك لدي الانطباع ذاته: الكبر، التسامي، التجدد، الحيوية، متابعة الحياة الثقافية الجديدة..».

كانت مقالاته في تأبين أساتذته: مصطفى جواد، محمد مهدي البصير، طه الراوي، احمد المهنا – في غير التعليم الجامعي-، وفي تأبين زملائه: المخزوميّ وفؤاد سفر.. الخ مجالاً خصباً لتقديم موازنات من هذا النوع: بين الأنموذج الناصع وبين الواقع النقيض، ويُستَفَزّ قلمه وينفعل وهو يرصد كل ما من شأنه

يسلط الطاهر الضوء في بعض مقالاته على العلاقة الوثيقة بين علمية الأستاذ وشخصيته وبين المرتكز الثاني للعلمية التعليمية أي المناهج والطرائق المتبعة في التدريس: العيب في المناهج، إنما العيب في تطبيقها، المنهج الدراسي في الجامعة يعطي إشارات للأستاذ والطالب معا.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

الإخلاص بهذه الصورة المتعالية على واقع ينوء بمظاهر القصور والنكوص والإستهانة بالمسؤوليات العلمية والتربوية للأستاذ.

يقول عن أستاذه البصير: كان زاهدا راضيا بالقليل الذي لديه.. وانه لأرفع مما كان ينزل إليه آخرون من دينار هنا ودينار هنالك، وارفع حتى من أن يطالب بحقّه إذا كان حقّه هذا يتصل بالمال وكانت المطالبة تقتضي قليلا من التنازل.. ولو كتب لك أن تكتب بحثا فيما عرف.. بالمحاضرات، وعقدت فصلا أو فصلين على الأساتذة الذين يوقّعون على ورقة الحضور مع الغياب، وفي دفتر المحاضرات مع كونهم في إجازة مرضيّة أو انتداب خارج العراق يوقعون ليقبضوا دون إقامة الدرس الذي يؤجرون عليه، لو كتب لك شيء من ذلك لعرفت معنى آخر للزهد وصلته بالأخلاق والعملية التعليمية، ثم تكتب الفصول الأخرى في جشع غير مبرّر وخصومات لا تليق في أسبابها ومظاهرها ونتائجها بمهنة يراد لها ان تكون من اشرف المهن.

وما أقسى ما عانى الطاهر حين كانت تنكسر هذه الصورة ويرتضي الإنسان لنفسه أدواراً تطيح برسوليته من عليائها، وتفيض صفحات كتبه بذكر أمثلة لهذه الخسائر الاعتبارية الفادحة ومن واقع معايشة دقيقة – ولا يُنبيك مثل خبير– يقول عن بعض معايشته في الدراسة في القاهرة: وأخذنا مقاعدنا، وكان في المراقبين الدكتور عبد الرحمن بدوي الذي أمطرنا من قبل ونحن في العراق بكتبه الفلسفية تاريخاً ونظريات وأعلاماً، لقد كان ظاهرة في بابه غير ما صحب رسالته للدكتوراه عن الزمان الوجودي من ثناء أو إطراء وإعلاء، اجل ولم أرَ في حياتي كلّها من قبل ومن بعد اضعف من الدكتور عبد الرحمن بدوي في قاعة الامتحان، لقد كان نادلاً بين الطالبات يشرح لهذه السؤال بما يفيد العلم إن كان سؤالها في متناول معرفته، وينقل لتلك جوابا يختلسه من دفتر طالب نجيب، ويسمح لثالثة بفتح حقيبتها وإخراج ما يُعينها على الجواب، والرجل الفيلسوف فرح بمهمته، سعيد بفعلته، دؤوب في ذهاب وإياب وكأنه يرى النظرية واقعا والفلسفة تطبيقا.

ولا يستوقفه السلوك الشخصي في الأستاذ فحسب ولكنه يُعنى بالجانب الآخر أيضاً أعني: الجهد العلمي والبحثيّ فهما – عنده – وجهان متكاملان للعملة نفسها، ولهذا كتب في مجلة (الكلمة) – بعد ثمانية أعوام من التدريس في الجامعة – كلمة مؤثّرة مؤرخة في (٤آب/٩٦٢) بعنوان دال جداً: (اللقب العلمي يجب أن يكون علميّاً) فيها إنذار مبكر لأدواء ستستفحل وتستشري في الجامعة العراقية سنة بعد أخرى وتصبح عصية على الحلّ والعلاج، أدواء قضت على الجانب الأكبر من الرصانة والسمعة العلمية المفترضة في أية جامعة، كتب مطالبا قيادة ثورة (١٤/تموز/ ١٩٥٨) بإصدار قانون على منوال (قانون الإصلاح الزراعي) هو (قانون الإصلاح العلمي)؛ لأنه يدرك جيدا إن ما يتهدّد المجتمع من أخطار علمية لا يقلّ فتكاً عن مخاطر الاستغلال والاستعباد الاقتصادي والاجتماعي للإقطاع إن لم تزد عليها، وأسئلة الواقع الجامعي البائس تحاصره وتقلقه انه يتساءل فيها: كيف أصبح هؤلاء الأساتذة أساتذة؟ عدد محدود منهم استوفى الشروط.. إن من بين الأساتذة من لم يؤلف طوال عمره كتاباً ومن لم يكتب بحثاً من قبل الأستاذية بسنوات وبعد الاستاذية بسنوات، ماذا كان يفعل الأستاذ في مدى عشر سنوات، عشرين سنة؟ وكيف كان يدرس؟ وكيف يمضي الـ٥٠ دقيقة؟.. وإذا كان الأستاذ لا يعرف أن يؤلف ولا يملك الصبر على البحث فلمَ لا يقرأ؟ لمَ لا يتابع ما يصدر؟ لم لا يشتري الكتب المهمة التي تتعلق بموضوعه؟ لم لا..؟ لمَ لا..؟

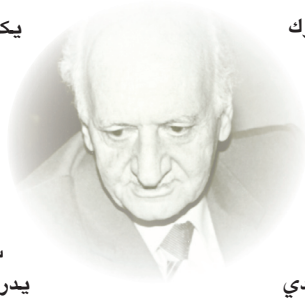

لقد صح ما قيل من إن فاقد الشيء لا يعطيه، ولكن احتمّ على المرء أن يكون أستاذاً؟ سُدّت عليه كل وسائل العيش فلم يبق إلا أن يكون أستاذاً.

ويسلط الطاهر الضوء في بعض مقالاته على العلاقة الوثيقة بين علمية الأستاذ وشخصيته وبين المرتكز الثاني للعلمية التعليمية أي المناهج والطرائق المتبعة في التدريس: العيب ليس في المناهج، إنما العيب في تطبيقها، المنهج الدراسي في الجامعة يعطي إشارات للأستاذ والطالب معا، والمهم في الأمر كيف نفهم المنهج وكيف نطبقه بحيث يتحول من فقرات تظلّ محدودة مهما اتّسعت إلى أداة ترفع الطالب إلى البحث والتتبع والتقصي واستخلاص النتائج.

وان دور الأستاذ مركزيّ في ردم الحاجز النفسيّ بين الطالب والمادة، والطالب والأستاذ بابتكار وسائل إغراء وتعزيز، ومن وراء ذلك قلب كبير راصد لكل من يستحقّ الرعاية من المواهب، يقول عن ذلك: أنا كأستاذ – وحتى حين كنت مدرساً في التعليم الثانويّ – ارتاح ارتياحاً غريباً لوجود موهبة حتى ولو في دفتر الإنشاء واعمل ما استطيع لتشجيع هذه الموهبة والاستعانة بالآخرين على تشجيعها.. وانطلاقاً من الاعتقاد بانّ هذه البواكير صادقة ابني الآمال.

لم يسع يوما إلى حشو ذهن الطالب بالمعلومات، بل حرص على أن يؤسس فيه وعياً بالذات وحضوراً وصوتاً خاصاً به وان ينمي فيه طموحاً نحو الاستزادة، ووجد في تدريس مادة (النقد الأدبي) فرصة مناسبة إذ راح يقيم درسه أولا على: ماذا قرأت؟ وما آخر ما قرأت؟ وما رأيك فيه؟ النص أولاً والنظريات والقوانين ثانياً وثالثاً، والنقاش دائماً وعن طريق النقاش يأتي الفكر والرأي.

وظلّ يعترف بلا عقد ولا مركبات نقص بالفضل لنخبة من المع تلامذته، يقول عن نفر منهم: كنت استفيد من طلابي، أخذت منهم وأعطيتُهم، في عام ١٩٥٥ درست جلال الخياط، عناد غزوان، هادي الحمداني، عصام عبد علي، حسن البياتي، كانوا يعطون الدرس شحنة خاصة.

وقال أشياء أخرى أجمل وأنبل واهم عن يوسف الصائغ وعبد الإله احمد،وعبد الجبار عباس، ومحمد حسين الاعرجي في مقالاته ومحاضراته على السواء.

وبالمثل اعترف له تلامذته بكامل حقوقه عليهم: بما غرس فيهم، وبما ايقظ وغيّر وطوّر من شؤون علمية وغير علمية، يقول د. محمد حسين الاعرجيّ: وما زلت أتذكّر ونحن في الصف الرابع من قسم اللغة العربية بكلية الآداب عام (١٩٧٠م/ ١٩٧١م) أنّ قصة (اللعبة) للأستاذ يوسف الصائغ كانت قد نشرت آنذاك، وكان هو قد انتخب ثلاثة طلاب كنت من بينهم يقرؤون القصة ويكتبون عنها نقداً أو ما يخالونه كذلك، حتى إذا ما تمّ ذلك وكتب الطلاب ما كُلّفوا به في الموعد المضروب كانت المفاجأة، فقد تخلى الدكتور الطاهر عما يُخال تقليداً جامعيا وما هو منه في شيء حين ضيف مؤلف (اللعبة).. في صفنا يُناقش ما يُقال في قصته، ولم يكن ذلك قليلاً ولا معتاداً في الجامعة.

على أن دوره الإصلاحيّ أو الثوريّ أو التثويريّ لم يقتصر على ما هو كائن في داخل الصف بل امتد إلى تفعيل الأنشطة الثقافية في خارجه لتجسير المسافة بين الخارج والداخل، فلا يظلّ من في الصف وما فيه حبيس جدارته معزولاً عن المجرى العام للثقافة في الخارج، ويشير هو وتلامذته – باعتزاز– إلى مبادرته في تشكيل «جماعة الإنشاد الأدبي بلا رئيس ولا أعضاء، نختار موضوعات الإنشاء الصالحة ذات الدلالة على أن تُلقى يوم الخميس مساء: مقال، نقد، شعر.

نطبع البطاقات وندعو المدارس والأدباء، كنت أقدّم كلّ من يشارك بمقدمة مناسبة، كانت القاعة تمتلئ والإصغاء لافت للانتباه.. كانت عكاظاً حقيقياً، كنت في كل أمسية آتي بشاعر أو أديب من المتخرّجين: عبد الجبار المطلبيّ، لميعة عباس عمارة، بدر شاكر السياب ألقى قصيدة (النهر والموت).

ولكنّه مثل أيّ مصلح أو مجدّد آخر في مجتمعاتنا النائمة أو النامية– لا فرق– اصطدم بأزمات الواقع الجامعيّ المتفاقم في العراق، وعقول القائمين عليه، والمتحكّمين في مفاصله ببيروقراطية وجهل وتخلّف وبعقد سياسية وحزبية متشنّجة وضيّقة الأفق تعاورت جميعها على تحجيم بل تجميد دور الجامعة القياديّ، ولذلك كانت الأحزان تتسلّل إلى روحه سنة بعد أخرى وهو يشهد الانهيارات والتراجعات المنظورة وغير المنظورة، ولكنه – وفي أقسى المواقف – لم يسمح لليأس قط بان يخامره أو يهزّ قناعته ويقينه مؤمناً أنّ موهبة أيّ تلميذ واعد بارقة جديدة وبشارة لاستئناف الطريق، وحسبه إصداراً على الرسالة التعليمية الوطنية انه لم يغادر البلد للعمل في جامعه عربية أو أجنبية بعد أن أحيل على التقاعد –وكان بإمكانه أن يفعل كما فعل غيره–، وحسبه أنّه لم ينقطع فعلياً عن التأثير في الجامعة العراقية على نحو مباشر – وغير مباشر حتى بعد رحيله، لم ييأس كما يئس أستاذه الروحيّ (طه حسين) الذي آمن قبله بالجامعة و راهن عليها نواةً لمشروعه التنويريّ نحو نشر الثقافة في المجتمع ولكنّه انتهى بعد جولات من الصداع إلى إحساس مرير فتمثل في موقف ما بأبيات الحطيئة الشهيرة:

لقد مريتكمُ لو أنّ درّتكم
يوماً يجيء بها مَسْحي وإبساسي
لمّا بدا ليَ منكم غيبُ أنفسكم
ولم يكن لجراحي منكمُ آسي
أزمعت يأساً مريحاً من نوالكمُ
ولن ترى طارداً للحرّ كاليأس

رحل أستاذنا الطاهر.. وما زالت فصول الصداع مستمرّة بين الرؤية العلمية الطموح التي تسعى إلى الإعلاء من شأن الجامعة العراقية او إصلاح ما يمكن إصلاحُه من عللها وبين واقع تتراكم فيه عوامل الضعف والانحراف والتشويه والتزييف وتغيب فيه التقاليد العلميّة والتربويّة الرصينة.

يسلط الطاهر الضوء في بعض مقالاته على العلاقة الوثيقة بين علمية الأستاذ وشخصيته وبين المرتكز الثاني للعملية التعليمية أي المناهج والطرائق المتبعة في التدريس: العيب في المناهج، إنما العيب في تطبيقها، المنهج الدراسي في الجامعة يعطي إشارات للأستاذ والطالب معا.

أن دوره الإصلاحيّ أو الثوريّ أو التثويريّ لم يقتصر على ما هو كائن في داخل الصف بل امتد إلى تفعيل الأنشطة الثقافية في خارجه لتجسير المسافة بين الخارج والداخل، فلا يظلّ من في الصف وما فيه حبيس جدارته معزولاً عن المجرى العام للثقافة في الخارج.

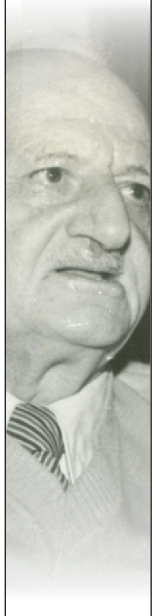

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

علي جواد الطاهر

أستاذ النقد الأدبي الحديث وريادته في العراق

تأسيس منهجية أكاديمية عربية معاصرة في النقد الأدبي

د. سيّار الجميل

يعد الدكتور علي جواد الطاهر رائدا من رواد النقد الأدبي العربي الحديث في العراق خصوصا انه رجل مبدع اكاديمي تربّى على يديه اكثر من جيل في القرن العشرين ،وكان الرجل تقدميا في تفكيره ومعاصرا في آرائه له بلاغته في الكلام ومنهجه في التفكير ، درس في العراق ضمن اسس قوية ومتماسكة وذهب الى فرنسا ليستزيد علما ومنهجا واتساعا في الرؤية وعاد من دراسته في السوربون عند مطلع الخمسينيات التي كان العراق يضج خلالها بالمع المثقفين والساسة والمختصين .

عرفته من جانبين ، معرفة شخصية بواسطة صداقة أدبية حميمة كانت تربطه بوالدي – رحمهما الله – فقد كانا من جيل واحد ودرسا في بغداد معاً .. ومعرفة اكاديمية نتيجة لقاءات عدة جمعتني مع الرجل .. كان الطاهر عراقيا اصيلا يعشق ارضه وطبيعتها الجميلة عشقا ومغرم بتراثها الغني بشكل يفوق الحدود .. وكان كل اهتمامه وحديثه في مجالساته ومرافقاته عن الادب والابداع والنصوص والمناهج والاسماء الادبية والثقافة العراقية والتاريخ الادبي والنقد الادبي ..

ذكرى لن أنساها

اذكر انه زار الموصل وقضى ساعات طويلة في مكتبة عائلتنا رفقة والدي الذي اعطاه منها المزيد من النصوص القديمة والمطبوعات النادرة ! ومضت اعوام ورحل والدي الى الدار الآخرة كي ينادي عليّ الاستاذ الطاهر باسمي وانا امشي عند سياج حديقة الشهداء بالموصل ، فالتفت لأرى الطاهر وحده وهو يستند بقوامه على ذلك السياج الحديدي الاخضر يمتع نفسه بجمال اشجار تلك الحديقة الغناء فوقفت معه طويلا ليسألني عن احوالنا ويقول انني في زيارة علمية للموصل وفي كل سفرة لي اليها ازور هذه الحديقة القديمة . وبعد ان غدوت استاذا في الجامعة ، كنت التقي الطاهر عدة مرات يحادثني عن همومه وما اكثرها وخصوصا عن نظام الحكم في العراق . وكنت قد اعجبت بكتابه الرائع " منهج البحث الادبي " الذي اختزل فيه منهجه ورؤيته للبحث في العلوم الانسانية والاجتماعية حسب الاصول الفرنسية ، وكثيرا ما جعلت طلابي في الدراسات الاولية والعليا يعودون اليه نظرا لقيمته الحقيقية التي تجعل من صاحبه ذا شخصية بحثية ومعرفية مقتدرة ، فهو واحد من اهم ما كتب اكاديميا بالعربية عن منهجية البحث العلمي والادبي .

الندوة الشهرية

واسس علي جواد الطاهر في أواسط الخمسينيات ندوة نقدية شهرية في جامعة بغداد التي عمل بها وأنطلق لدراسة النتاج القصصي والأدبي للأدباء العراقيين المحدثين حيث لم يكن قبل هذه الندوة الشهرية أي معلم لتيار ثقافي نقدي مميز في العراق باستثناء كتابات يتيمة متفرقة في الصحافة المحلية البغدادية خصوصا . نعم ، لقد اسست تلك " الندوة " بعض الخطوط المعرفية والاكاديمية في منهجية البحث والكتابة واسلوب العمل النقدي الذي نجح في انتاج عناصر مبدعة في الكتابة العراقية تعرضت لجل النتاجات الثقافية العراقية وفق رؤية نقدية معاصرة .. وهذا الذي جعل مثل هذه الندوة قاعدة لها ارضية قوية تحركت فوقها فعاليات نقدية أكبر لتغدو واحدة من اقوى أسس اتحاد الأدباء في العراق العام ١٩٥٨ فكان هناك دورا مبرزا لعلي جواد الطاهر في ذلك كواحد من بين مؤسسيه ومسؤولا عن تحرير مجلته الشهرية " الأديب العراقي" التي أولت النقد الادبي أهتماما واسعا.. ناهيكم عن تلك الندوة الشهرية التي لم يغب عنها يوما ..

الأسس المنهجية واتحاد الادباء في العراق

لقد نجح الرجل في تأسيسه لمنهجية البحث تتلخص بالركائز التالية :

١) أن يكون النتاج العراقي من صلب اهتمام المتحدثين والمناقشين في الندوة كأولوية لم تكن موجودة سابقا .

٢) أن يكون صاحب المنتج الادبي او الثقافي حاضرا في المناقشات فقد يتطلب الموقف رأيا أو إيضاحا .

٣) أن يكون الأدب وفنونه محور عمل الندوة مما يعني أنه أبعدها عن السياسة والرأي الحزبي او السلطوي .. هذه هي المبادىء الثلاثة التي التزم بها الادباء والمثقفون العراقيون .. ولقد نجح الطاهر في عقد ميثاق عمل معرفي بين الجامعة والمجتمع من خلال رعاية جامعة بغداد لمثل تلك المناقشات الحيوية .

تأسس اتحاد الأدباء في العراق بعد ثورة تموز / يوليو ١٩٥٨ ورأسه الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري واصبح الدكتور علي جواد الطاهر مسؤولا عن النشاط الثقافي فيه ، فترأس تحرير مجلة " الأديب العراقي " التي كان يصدرها الاتحاد ، فغدت نافذة على الثقافة العراقية . تنشر النتاج الإبداعي والنقدي والمناقشات والمحاورات . ومن خلالها أطل الطاهر نقديا على تراث القصة والشعر العراقي ، وجعله يدرس محمود أحمد السيد رائد القصة العراقية الحديثة بكتاب ما يزال مقروءاً لليوم من اجل ان يغدو منهج النقد الادبي نافذة على تحديث المجتمع العراقي كله . .

تحديث المجتمع

يعد الاستاذ الطاهر واحدا من ابرز رجالات النهضة النقدية في تحديث المجتمع العراقي المعاصر ، وكان الرجل قد أمتهن الثقافة ميدانا حيويا وعمليا له . وتابع بنشاط ودأب فعاليات تلك الثقافة فالمعروف عنه انه لم تفته اية مجموعة قصصية ولا ديوان شعر ولا نصوص مسرحية ولا معرض فني ولا مناسبة ثقافية ولا مناسبة فكرية من دون أن يكون حاضرا فيها مبديا رأيا حول ما سمعه منها او ما شاهده فيها ، وكان يقول ما ينفع من الكلام ويستلهم قيم الجمال والفكر في الذي يراه أو يقرأه ويدافع عن الحقائق التي يراها صائبة ، وكان رصيده من نتاجه الفكري والنقدي حوالي الخمسين كتابا تعد جميعا بحق منهاج عمل ثقافي ومشروع منهج نقدي لواحد من ابرز المثقفين العراقيين .

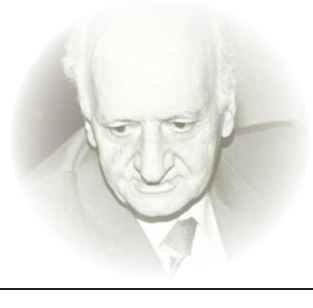

عد الاستاذ الطاهر واحدا من ابرز رجالات النهضة النقدية في تحديث المجتمع العراقي المعاصر ، وكان الرجل قد أمتهن الثقافة ميدانا حيويا وعمليا له .

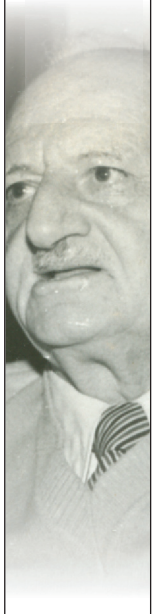

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1635)
السنة السابعة
الخميس (22)
تشرين الاول 2009

ببلوغرافيا موجزة
د . علي جواد الطاهر

اعداد: اربد علي جواد الطاهر

تأسس اتحاد الأدباء في العراق بعد ثورة تموز / يوليو ١٩٥٨ ورأسه الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري واصبح الدكتور علي جواد الطاهر مسؤولا عن النشاط الثقافي فيه ، فترأس تحرير مجلة " الأديب العراقي " التي كان يصدرها الاتحاد ، فغدت نافذة على الثقافة العراقية .

ومن خصاله انه لا يخلط بين الابداع الادبي والثقافي وبين الموقف السياسي ، اذ له القدرة على فصلهما في ابداء ارائه والفصل في احكامه والمح انه استخدم هذه الطريقة من اجل ان يسلم بمواقفه من الاخرين في عهد تزدحم فيه اجهزة الرصد والمخابرات .. وعليه ، فلم يكن الرجل ليعلن عن مواقفه السياسية في ارائه وكتاباته النقدية .. واعتقد انه هنا كان تنقصه امور لم يقلها وقد رحل عن هذه الحياة ولم يستطع البوح بها ، اذ لا يمكن ابدا ان تبعد السياسة ومواقفها عن تفكيرنا اليومي ، وهنا يتفق معه البعض كونه نشر كتاباته النقدية الادبية في صحف النظام السابق من دون ان يقع في خندق المتسولين او المداحين . رفض الطاهر حداثة الشعر العراقي باستثناءالتي بدأت في عقد الستينيات عند السياب والبياتي وسعدي يوسف لأنه يؤمن أن الشعر شعرٌ وليس خاطرةً تمتلك نثرا مغنى ، أو كلمات لها إيقاع ... ولا يخلو الطاهر من مواقف حادة وعنيفة بشأن بعض اولئك الذين يخالفهم في آرائهم الفكرية ومنتجاتهم الابداعية ، ولكنه من طرف آخر ، وجدته يرعى النبتات الصغيرة ويعتني بالشباب من ذوي المواهب والملكات الادبية . كما تخرج علي يديه العديد من حملة الماجستير والدكتوراه والذين برز منهم عدد من الكتاب والاساتذة والنقاد .. فكان معلما واستاذا لهم جميعا . وبرغم ان السلطة السابقة قد احالته علي التقاعد ، وانكفائه فترة زمنية معينة ، الا انه سرعان ما استعاد ثقته بنفسه وبالاخرين وعاد يشارك مشاركة حقيقية في الحياة ولقد وجدته قليلا في تنظيراته مقارنة بكثرة تطبيقاته ، فهو يعتقد اعتقادا جازما بان تطبيقات نقد النص تشير بحد ذاتها الي الظاهرة الاجتماعية والاستفادة من تحليلها من اجل تحديث المجتمع من خلال تفكيك كافة ظواهره ومعالجتها من خلال المقالات المختزلة لا اطنابات الكتب . ويعد الطاهر واحدا من ابرز كتاب المقالة ، اذ كان فنانا في تدبيجها واستاذا في طرح مضامينه فيها

وأخيرا : ماذا اقول ؟

كان علي جواد الطاهر يحرص علي الارتقاء بالثقافة العراقية الحديثة الي رحاب اوسع ، وان تكون معبرة تعبيرا عضويا وحيويا عن تمنيات وطموحات المجتمع كله .. ويري أن الثقافة لا تتطور بالتلقيح ولا بالعشائرية ولا بالدعاية أو الترويج لشخص أو جهة بقدر ما تكون موقفا يسند توجهات فكر وأسلوب عمل .. وكانت تربطه وشائج من العلاقات المحترمة مع العديد من الكتاب والمؤلفين العرب والاجانب .. كان يعتقد بأن النقد وممارسته من اخطر ما يمكن توصيفه ، فهو ليس مجرد عواطف واختلاف وجهات نظر ومجموعة اهواء ذاتية .. ان النقد موقف حضاري متقدم وهو الرابط الحقيقي بين اسلوب الثقافة وتطور المجتمع .. وكالعادة المعروفة دوما ، لم ينل الطاهر من العراق استحقاقاته كمثقف عالي المستوي وعلى غرار اقرانه من المثقفين والمختصين المبدعين المعروفين .. لم يكن قريبا من السلطة الى الدرجة التي تجعله فيها عضوا في المجمع العلمي العراقي ، ولكن زرع الاعجاب في قلوب محبيه وصدور طلبته وكل قرائه واصدقائه من المختصين والمثقفين . يقول الناقد ياسين النصير وهو احد طلبته الذي غدا صديقا حميما له : " بحق كان الدكتورعلي جواد الطاهر الحلي الأصل والعراقي الهوى والفكر ، والمتتبع للثقافة وأنشطتها ، والمتحمس للمثقفين الشباب . رائدا لجيل من النقاد العراقيين الذي وجدوا في رعايته في السنوات الأخيرة ملاذا يقودهم إلى بر الأمان من غل ينتظرهم ، أو ضعف ينيب بهم فكان أستاذا صديقا للناقد عبد الجبار عباس ولشجاع العاني ولفاضل ثامر ولحاتم الصكر ولعبد الرضا علي ولعبد الإله أحمد ولياسين النصير وكان بعضنا يجتمع معه أسبوعيا في داره في الكرادة التي اصبحت مزارا لنا وندوة اسبوعية منفتحة على الثقافة كلما كانت هناك رغبة حقيقية في نهضة ثقافية .. " .

انني اذ احيّ ذكرى هذا الرجل كواحد من ابناء نخبة عراقية توهّجت في القرن العشرين ، اتمنى من الجيل المعاصر الاحتفاء بجيل رواد الثقافة العراقية الحديثة جميعا وتوضيح جهودهم الحضارية اللامعة في خدمة المجتمع العراقي والثقافة العراقية .. علما بأن ما تركوه من منتجات وكتابات ومناهج بحاجة للمزيد من الدراسات النقدية ووضعها في مكانها الملائم .. وستبقى ذكرى علي جواد الطاهر حية لا تموت .. وسيذكره تاريخ العراق الثقافي باحرف من نور لادواره الخصبة على امتداد حياته المكتنزة بالمعاني الجميلة .

(فصل من كتاب ، نسوة ورجال : ذكريات شاهد الرؤية)

-ولد الدكتور علي جواد الطاهر في مدينة الحلة- العراق عام ١٩١٩.

-تخرج في دار المعلمين العالية ببغداد، قسم اللغة العربية عام ١٩٤٥.

-قبل من السوربون للدراسة العالية بشهادة دار المعلمين العالية، وحصل على دكتوراه الدولة في الاداب عام ١٩٥٣.

-عمل مدرسا واستاذا في دار المعلمين العالية وكلية الاداب في جامعة بغداد.

-عمل استاذا مساعدا في كلية الاداب جامعة الرياض للفترة من عام ١٩٦٣ ولغاية ١٩٦٨.

-عاد للعمل في جامعة بغداد، كلية الاداب ، ورقي الى رتبة استاذ.

-عمل استاذا زائرا في جامعة الجزائر، وجامعة قسطنطينة وجامعة صنعاء وجامعة قطر.

-دعته جامعته الكوفة، في العراق، للعمل في كلية التربية للبنات مرحلة الدراسات العليا، وعاد الى العمل عام ١٩٩٢.

-انتقل الى التدريس في الجامعة المستنصرية- كلية التربية عام ١٩٩٤ واستمر في تأدية دوره التربوي حتى اقعده المرض.

-انتقل الى رحمة الله في ١٩٩٦/١٠/٩ بعد مرض عضال.

مؤلفاته:

١-الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ج١، بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٨، ج٢، مطبعة العاني ١٩٦١ ط٢ في مجلد واحد، بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٤.

٢-الابن وسبع قصص اخرى (مختارة ومترجمة عن الفرنسية) بغداد، مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ١٩٦٠-ط٢، بغداد ١٩٨٦، ط٣، الرياض، دار الرصافي.

٣-مقالات (في النقد الادبي.. والتربية) بغداد، مبطعة اتحاد الادباء العراقيين ١٩٦٢.

٤-الطغرائي (حياته، شعره، لاميته) بغداد، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة التضامن ١٩٦٣.

٥-في القصص العراقي المعاصر نقد ومختارات بيروت المكتبة العصرية ٦٧.

٦-تدريس اللغة العربية (في المدارس المتوسطة والثانوية) النجف مطبعة النعمان ١٩٦٩، ط٢ بعنوان اصول تدريس اللغة العربية، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨٤.

٧-محمود احمد السيد- رائد القصة الحديثة في العراق. بيروت، دار الاداب، ١٩٦٩.

٨-ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة، بغداد، مطبعة الارشاد ١٩٧٠- ط٢ دار الرائد العربي، ١٩٨٤.

٩-منهج البعث الادبي ط١، مطبعة العاني ١٩٧٠. ط٢ بغداد، بغداد مطبعة اسعد ١٩٧٢، ط٣ مطبعة اسعد ١٩٧٦، ط٤، بيروت المؤسسة العربية (كتب عليه خطأ ط٣) ط٥ بغداد، المكتبة العالمية ١٩٨٤، ط٦ بغداد، المكتبة العالمية ١٩٨٦، ط٧ بغداد، المؤسسة العربية ١٩٨٨ (كتب عليه ط٣) الطبعة الثامنة (مفتحة). الدار المتحدة للنشر ، عمان، ١٩٩٥.

١٠-ديوان الجواهري (جمع وتحقيق بالاشتراك مع د.ابراهيم السامرائي، د. مهدي المخزومي، رشيد بكتاش) ج١-٧ وزارة الاعلام والثقافة، بغداد ١٩٧٣- ١٩٨٠.

١١-ديوان الطغرائي (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور يحيى الجبوري) بغداد، وزارة الاعلام، ١٩٧٦ ط٢، الكويت، دار القلم ١٩٨٣.

١٢-ملاحظات على وفيات الاعيان (ط. بيروت) مؤسسة الرسالة ١٩٧٧ – ط٢.

١٣-وراء الافق الادبي (مقالات) بغداد، وزارة الاعلام ١٩٧٧.

١٤-الاعمال القصصية الكاملة لمحمود احمد السيد (اعداد وتقديم بالاشتراك مع الدكتور عبدالاله احمد) بغداد، وزارة الثقافة والفنون ١٩٨٧.

١٥-مقدمة في النقد الادبي ط١، بيروت المؤسسة العربية ١٩٧٩، ط٢ بغداد، المكتبة العالمية ١٩٨٣، ط٣ بيروت المؤسسة العربية ١٩٨٨ (كتب عليه ط٢)

١٦-منهج البحث في المثل السائر ط١ الموصل، جامعة الموصل، ١٩٨٢، ط٢، بغداد ١٩٩٠.

١٧-الخلاصة في مذاهب الادب الغربي، بغداد وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٣، سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٢١، ط٢، بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٤.

١٨-تحقيقات، وتعليقات، بيروت دار الرائد العربي ١٩٨٤.

١٩-اصول تدريس اللغة العربية دار الرائد العربي ١٩٨٤- ينظر اعلاه ، تدريس.

٢٠-معجم المطبوعات العربية/ المملكة العربية السعودية (جزءان) بغداد، المكتبة العالمية ١٩٨٥ – ١٤٢٥هـ.

٢١-ديوان الجعفري ٠صالح بن عبدالكريم.. ابن جعفر كاشف الغطاء) تحقيق (بالاشتراك مع ثائر حسن جاسم) بغداد ١٩٨٥.

٢٢-التراث والشعر الحر في الريادة العراقية، بغداد ١٩٨٦، ط٢،.

٢٣-ابو يعقوب الخريمي، بغداد ١٩٨٦.

٢٤-اساتذتي.. ومقالات اخرى.. بغداد ١٩٨٧..

٢٥-من حديث القصة والمسرحية، بغداد ١٩٨٧.

٢٦-من يفرك الصدأ او حسين مردان – بغداد- ١٩٨٨ – ١٩٨٩.

٢٧-عن الكتاب الادبي في الخليج العربي، بغداد ١٩٨٩.

٢٨-فوات المؤلفين، دار المغرب الاسلامي ١٩٩٠.

٢٩-فوات المحققين، بغداد، دار الشؤون الثقافية ١٩٩٠ وضمنه ملاحظات على وفيات الاعيان اعلاه.

٣٠-في الريادة الفنية للقصص العراقي (نقد) الجزء الاول: اشياء تافهة لنزار سليم ، بغداد ١٩٩٠، الجزء الثاني: نشيد الارض لعبد الملك نوري، بغداد ١٩٩٢.

٣١-الباب الضيق (مقالات)، بغداد، دار المعرفة ١٩٩٠.

٣٢-مسرحيات وروايات.. عراقية، في آمال التقدير النقدي بغداد ١٩٩٣.

٣٣-الحبكة المنغمة (مقالات في النقد الادبي لعبد الجبار عباس) جمع (بالاشتراك مع عائد خصباك) بغداد ١٩٩٤.

٣٤-المرزوقي شارح الحماسة ناقدا عمان ١٩٩٥.

٣٥-محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء عمان ١٩٩٥.

٣٦-الشاعر سليمان بن سليمان البنهاني شاعر من عصر النباهنة في عمان، اللاذقية، ١٩٩٥.

٣٧-مصادر صناعة الكتابة مصادر للنقد الادبي، بغداد ١٩٩٥.

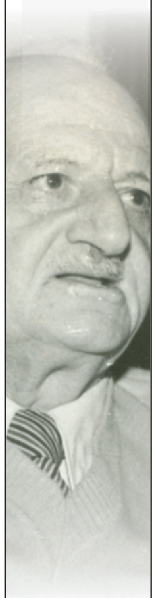

في ذكرى رحيل

علي جواد الطاهر . .الناقد المعلم

أستاذ مقتدر، جليل في تواضعه، كبير ويكبر في ارثه، تحقيقا وتأليفا ونقدا وترجمة. انغمس في كتابات البعيدين والأقربين، وعن معرفة كتب وحاضر وصحح وتهكم وأدان، وباسمه الكبير أقفل أبواب المراقبة والمنع.

هكذا ألفت سنون العراق رموزها، فالطاهر سنبلة من حصادات العلم، مجمَع في كل ميدان، قاموس نقدي شامل، دأب على الكتابة في العديد من الصحف والمجلات العراقية والعربية، تاركا ما يزيد على ٤٠ كتاباً.

علي جواد الطاهر من مواليد مدينة الحلة عام ١٩١٩، تخرج في دار المعلمين عام ١٩٤٥، وحصل على البكالوريوس من كلية الآداب جامعة فؤاد بالقاهرة عام ١٩٤٨، حاز دكتوراه الدولة في الآداب من السوربون عام ١٩٥٣، عمل أستاذا مساعدا في كلية الآداب جامعة بغداد، وكان أول سكرتير لاتحاد الأدباء في العراق ١٩٥٩ - ١٩٦٣، كما عمل أستاذا مساعدا في كلية الآداب جامعة الرياض ١٩٦٣ - ١٩٦٨، وأستاذا زائرا في جامعات الجزائر وقسطنطينية وصنعاء وقطر، حتى أحيل على التقاعد عام ١٩٧٩ مع ٢٤ استاذا جامعيا لعدم رضا النظام المباد عنهم.

رحل في ٩ / ١٠ / ١٩٩٦ بعد ان أصيب بمرض عضال، ولم يتمكن من السفر والعلاج خارج العراق بسبب المضايقات التي مارسها النظام عليه.

لم يكن الطاهر ابن حاضره ومحللاً لما عاشه واقترن به فقط، فله علم بالتراث، وأجاد التحليل والنقل والتعريف، عشق وتعشق بالإلمام والدراية فهو يعرف أين ومتى يكتب، ولكن هكذا كانت تترجم الحياة مع علماء العراق بالضغوط والعسف والمحاصرة والتكبيل من قبل النظام الجاهل.

رحل الطاهر الكبير وهو يقف حزنا على ما تركه فعسى ان تعاد - اليوم - له المكانة في صروحنا العلمية والثقافية.

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب